كتاب نُقُوشٌ مِنْ وَحْيِ الأدب،

الجزء الثاني

جمع وإعداد:

عمر لوريكي

الكتاب: نقوش من وحي الأدب، الجزء الثاني

الصنف: أدب عربي.

المؤلف: عمر لوريكي

الغلاف: السعيد واعزوز

Dépôt Légal : 2020MO4548

ISBN : 978-9920-32-461-8

06.61.90.96.87
05.28.21.09.47

Bloc A6, Nº 59
Cité Alqods - AGADIR

Alliance Imprimerie
جميع انواع الطباعة والاشهار

ISBN : 978-9920-32-461-8

كلمة شكر وتقدير

الداعمون للملتقى الأدبي الدولي، الدورة الثانية

إلى عامل صاحب الجلالة بإقليم اشتوكة أيت باها

باشا باشوية أيت اعميرة

رئيس المجلس الجماعي لأيت اعميرة

المدير الجهوي لوزارة الثقافة والشباب والرياضة بسوس ماسة

الشركاء:

قائدا الملحقة الأولى والثانية بأيت اعميرة

الدرك الملكي بأيت اعميرة

منتدى الأدب لمبدعي الجنوب

السيد باشا باشوية أيت باها

جمعية أولاد ميمون

يسعد جمعية مواهب المستقبل أن تتقدم لكم بخالص عبارات التقدير والشكر والامتنان على دعمكم لها في تنظيم الملتقى الأدبي الدولي ومسابقتها الأدبية العربية في الشعر والقصة، الدورة الثانية.

تمهيد

كما هو معلوم أُسْتُهِلّ الموسمُ الثقافيُّ الأدبيُّ لجمعية مواهب المستقبل بأيت اعميرة بإعلان المسابقة الأدبية العربية في الشّعر والقصّة، الدورة الثانية شهر دجنبر سنة 2019، بشراكة مع المجلس الجماعي لأيت اعميرة وبتنسيق مع المديرية الجهوية لوزارة الثقافة والشباب والرياضة بسوس ماسة، وكانَ من المفروض الإعلان عن النتائج النهائية وحفل اختتام النّشاط الأدبي شهر أبريل من سنة 2020، إلاّ أنّهُ وبسبب تفشّي كوفيد 19 واحترازا من الإصابة به تم تأجيله ليتم الحسم في المسابقة الأدبية نهاية شهر أكتوبر من سنة 2020. وبالمناسبة نتقدّمُ بالشّكر الجزيل للجنة تحكيم المسابقة على جهدها المتميز في إدارة هذه المسابقة المتميزة والهادفة.

ومنذُ الإعلان عن المسابقة إلى حين انتهائها توصّل بريدُ الجمعية بأزيد من 900 مشاركة تم قبول 781 مشاركة منها موزّعة على الدول التالية:

المغرب(375)-المملكة العربية السعودية(11)- العراق(56)- الأردن(18)- فلسطين(24)- الجزائر(141)- تونس(09)- ليبيا(02)- السودان(13)- اليمن(46)- مصر(80)-سوريا (12)

الدول	عدد المشاركات
المغرب	375
المملكة العربية السعودية	11
العراق	56
الأردن	18
فلسطين	24
الجزائر	141
تونس	09
ليبيا	02
السودان	13
اليمن	46

مصر	80
سوريا	12
سلطنة عمان	04

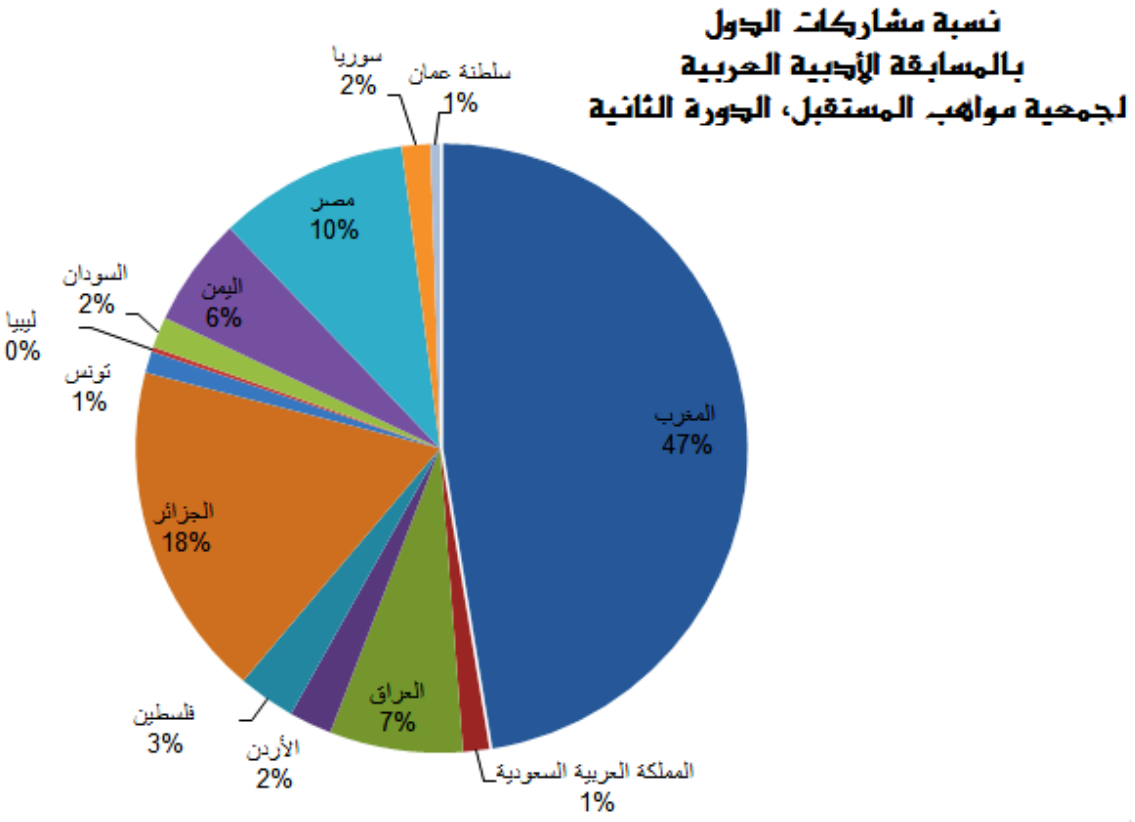

أما مراحل المسابقة، فقد تم الإعلان بادئ ذي بدء يوم الإثنين 03 فبراير 2020 عن المتأهلين للقائمة الطويلة التي كانت كالتالي:

صنف القصيدة الفصيحة تأهل ما مجموعه: 26 قصيدة فصيحة

صنف القصة القصيرة تأهلت 34 قصة قصيرة.

ثم تم الإعلان عن المتأهلين للقائمة القصيرة الممتازة السبت 08 غشت 2020 وكانت كالتالي:

وبهذه المناسبة تتقدّم جمعية مواهب المستقبل بالشّكر الجزيل للمجلس الجماعي بأيت اعميرة على مساندته الدّائمة ودعمه للملتقى الأدبي الدولي وكذا كتاب الجائزة والمجلة الورقية.

وعن المسابقة الأدبية فقد أشادت لجنة التحكيم بمستوى المشاركين المعرفي واللغوي ونوهت بالأعمال المتأهلة للقائمة القصيرة المتميزة، كما صرحت بأن المسابقة فرصة ثمينة لجميع المبدعين الشّباب على امتداد الوطن العربي الكبير للتباري بكل حيادية حول لقب الجائزة وقيمتها المادية التي ستكبر سنة بعد

سنة وكذا جائزة نشر الإبداع بكتاب ورقي والمشاركة بأمسية بهاء الشّعر، داعية الجميع للمشاركة في الدورات القادة بكثافة.

وقد رصدت جمعية مواهب المستقبل بأيت اعميرة جوائز مادية ومعنوية مهمة للمتميزين والمتميزات، كما سيتم طبع المشاركات المتأهلة للقائمة القصيرة الممتازة، ضمن كتاب الجائزة: نقوش من وحي الأدب، الجزء الثاني.

وأما عن هدف المسابقة الأسمى فقد أكدت جمعية مواهب المستقبل أن المسابقة الأدبية تشجيع للإبداع الأدبي ودعم للمواهب الشابة الحيوية الفتية، وبحث عن الأنامل الذّهبية الراقية، ورفع لمكانة الأدب والشعر بالمغرب والعالم العربي، بدعم من المجلس الجماعي لأيت اعميرة و المديرية الجهوية لوزارة الثقافة بسوس ماسة ومساندة ودعم منتدى الأدب لمبدعي الجنوب.

وبعد إجراء المداولات النهائية طيلة الأسبوع الأول من شهر نونبر 2020 أسفرت النتائج النهائية عن فوز "**قصيدة الأندلس**"، **للشّاعر خالد بناني** من المغرب بجائزة أفضل قصيدة فصيحة و قصّة "**على ضفاف الأنقاض**" **للقاصّة أروى حمد الدغيشية** من سلطنة عمان بأفضل قصّة قصيرة.

صنف القصة القصيرة

مقهى الخوف، محمد إبراهيم الدسوقي، مصر

على ضفاف الأنقاض، أروى حمد الدغيشية، سلطنة عمان

حالنا، ياسين بوفوس، المغرب

حيرة الجهل، عبد الله الحمداوي، المغرب

حكم الله ، شاهر جوهر، سوريا

متاهة سيزيف، عماد أفقير، المغرب

الظل المراوغ، سلاهب طالب الغرابي، العراق

على خطى ابن فرناس، عبد الرحمان بوالإكتاف، المغرب

نزوح، حسن كشاف، المغرب

الأرواح المعلقة، حضراني ليلى، المغرب

فلسفة سرير، توفيق بوشري، المغرب

هروب، وداد أمزيان، المغرب

المهرج رقم مئة، عصمت يوسف، البحرين

المنبوذ، فدوى اليعقوبي، المغرب.

مقهى الخوف، محمد إبراهيم الدسوقي، مصر

مقهى الخوف

محمد إبراهيم الدسوقي، مصر

كعادتي، حينما أنتهي من "المأمورية" التي توافق خط السير ليوم الثلاثاء، أقصد المقهى المعتاد لأشرب قهوتي .

إنه مقهى الزهور المحبب إلى قلبي وكياني لبساطته.

أبوابهُ التي يطل أحدها على مساحة من الفراغ، تطل على السوق التجاري للمنطقة...

الباب الآخرُ زجاجيٌّ مغلّفٌ بصورٍ زيتيّةٍ قديمةٍ...

في البعيد رَجُلٌ تَظُنّهُ أحد سلاطين المماليك، تتمايلُ أمامه إحدى الجواري وأخرى تملأ له القدح بالنّبيذ، خلفهما تظهرُ ملامحُ بنايات منزلية، وسوقٌ صغيرٌ في الحيّ .

هذه الصّور ينضحُ منها عبق الطّبيعة الّتي اعتادت عليها الحياة، كيفَ لسوقٍ يبيعُ الخضروات والفاكهة أن تتراقصَ فيه الجواري في "عُرض" الطريق ؟!

خَطَرَ ببالي أنّ هذا الغياب للتّناسق قد لا يكون ابن الطّبيعة وحدها وإنّما أراده الرسّام عطفاً على رؤيته لحقيقة الأشياء، إنها فلسفته الّتي يمنحنا إياها بريشته ويتمنّى أن نفهمها من تفسير المكان والزمان والشخوص والأشياء الدّقيقة على اللّوحات.

أحس كأن نشوة القهوة ضئيلة المعنى واللذة وأنا جالسٌ على طاولة بلاستيكية أسفل شجرة تعلوها يافطة صغيرة الحجم، تحمل اسم المقهى الذي دام لعقود يفتح أبوابه كل صباح، ينتظر أمثالي من المدمنين لمشروبهم اليومي الذي لا يحلو مذاقه إلاّ هنا، في الهواء الطلق، بين النّاس وتحت أصوات الرّاديو الذي لا يبثّ سوى إذاعة الأغاني طوال اليوم والقاهرة

الكبرى مع النسائم الأولى للنّهار، حيث يستهويني أن أفتش في عيون الناس، والهرب، والسكون إلى هواجسي التي لا تنتهي.

في الممشى الفاصل بين المحال، يسير المارة إلى مرادهم.

كلٌّ إلى هدفه وعلى طريقته..، نساء ورجال، فتية وفتيات، صغار وكبار. السيارات تمر في الشارع على اليسار جيئة وذهاباً.

ذكّرتني طفلة تتمسك بكف أمها تقارب السبع سنوات من العمر، بالّتي رأيتها قبل ساعة في المدرسة الابتدائية، تبكي في ركن الحديقة.

أنهيت التحقيق مع العامل المتحايل ولمحتها أثناء خروجي، لا تزال وحيدة، ولكنها توقفت عن البكاء...

صياحات صبية المقهى وكلام السائرين وضحكات أصحاب المتاجر والشباب الصغار وضوضاء أغاني المهرجانات في هواتفهم وتقاطعها مع عذوبة ورهافة المذيعين في الإذاعة وأغانيها... أبواق السيارات، مناوشات التلاميذ الهاربين من فوق الأسوار، يخلق طنيناً من نوع آخر، يمكنني تفحصه بدقة ومتابعته بعمق شديد.

أسندت رأسي إلى الخلف قليلا على الحائط وأغمضت عينيّ لثوانٍ سريعة. وسط كل هذا الضجيج الطنّان، خيال آخر يسير حراً منطلقاً في رأسي مليئاً بالخطوط المتقاطعة، كأنه يلهث.

مقيتةٌ هي الأوقاتُ التي أسقط فيها في شَرَك تشظّي الذّاكرة؛ كالرّيح الّتي تتلقّفها الشّبابيك وأوراقُ الشّجر، تصدمها البنايات، تخرجُ من شارع إلى شارع، تتشتّت في المفارق عند

النّاصية وتصبحُ ألفَ ريح مختلفة، تتطايرُ، تهدأ وتعصف، تستمرّ بهذه الحال دون قدرة على وقفها أو إمساك ملامحها، معرفة ماهيتها، كيف انطلقت، وما الذي حركها من ركودها؟!.

لست وحدي من يحبُّ مقهى الزهور؛ فكلّ المقاهي تصلحُ لشرب القهوة، ومنها ما يصنعها أفضل بكثير من هنا، ولكن الحب يجعل الإنسان قادرا على تقديم بعض التنازلات، قهوتك التي تحبها واعتدتها، الحيز الشعوري لمكان تستأنسه وتقبله حواسك.

مرّ أكثر من عامين كاملين منذ أن لعبت الصّدفة دورها، لأكون شاهدا على أكبر حدث رأيته في هذا المقهى، ربما في حياتي كلّها.

أكثر الذين اعتدتُ رؤيتهم يجلسون مثلي، على الطّاولات الحديديّة الصّغيرة في الدّاخل أمام الصّورة الكبيرة.

في الخارج أسفل الشجرة الأخرى يمين الباب المفضي إلى السوق، يتقاطعون معي في الاهتمام والشّغف، الصّمت والتّأمّل دون سابق اتّفاق، وإنّما بتوارُدٍ شُعُورِيٍّ غريبٍ- إنّ للإنسان المقدرة على أن يستشفّ ما في أعيُنِ الآخرين، كلماتهم التي لم تطلقها الأفواه، حركاتهم المعبرة - كان الأستاذ، كما كانوا ينادونه دوما اعتياداً، ويتجاهلون اسمه الحقيقي.

كل ما عرفته عنه أنه كان موظفاً بالأوقاف، مثل كل الموظفين العاديين، لا صيت ذائع له سوى في دائرته المقربة. قد يكون سبب ذلك أنّه - كما لاحظته – قليل الكلام، وشاردٌ طيلة الوقت، يشرب قهوته ويجلس ساعة أو ساعتين ثم ينصرف، بلا حديث مع الآخرين،

بابتسامات سريعة مع صبية المقهى، لا يصيح في القطط التي تتجول تحت أقدام الطّاولة وتلمسه، وقلّما شاهدته يجلس مع أحد.

بعدما أحيل إلى المعاش زاد تردّده على المقهى، وجدته هناك كلما ذهبت؛ كان نفس الشّخص بكل ما فيه من ملامح، ما تغيّر هو علامات العمر فقط.

بعدما يُحال الموظّف إلى المعاش يتغيّر الكثير، يصبح فوق آخر عتباتِ الحياة، فات الكثير جدّا من رياح العمر، ولم يتبقّ إلاّ القليل من النّسائم الرّطبة .

فكرتُ أكثر من مرّة أن أقتحم عليه هدوءه، فسمته الجاذب كان يجذبني إلى رغبة الحديث معه، ولكنني لم أفعل مع الأسف.

في أحد الأيّام، بعدما انتهى الربع الأول من النهار، طلبت قهوتي ورحت أتفحّص الأخبار بالهاتف وأرى ما يحدث في هذا العالم الغريب، وكان الأستاذ جالساً في النّاحية الأخرى وقد أحضر له الصبي النّادل القهوة كذلك.

انطلقَ من الفراغِ شجارٌ مفاجئٌ بين صاحب محل الأدوات المنزلية والعامل في محل الخضروات؛ الغبار يتطاير من المقشة والعامل ينظف أمام المحل...

تجمع المشتغلون بالمتاجر وأصحابها وبعض السّائرين بالشّارع بسُرعة البرق، اختلطت الأحاديثُ والصّيحات، السباب والوعيد، إلى أن هدأت المعركة بعد نصف ساعة تقريباً، وعاد الصّمت تدريجياً مع بعض النقاشات الجانبية.

لاحظ صبي المقهى أن الأستاذ لم يتحرك من مكانه، لم يكن ممعنا في محاولة فض الاشتباك الذي خلّفه الغبار، كوب قهوته وكأس الماء لا يزالان كما وضعهما على الطاولة ممتلئان، وهو يلقي برأسه إلى الحائط خلفه، صامت بلا حراك وكأنه نائم.

راقبتُ مرور الصبي ونظراته باستغراب إلى الأستاذ؛ بعد عشر دقائق اقترب منه وناداه..

يا أستاذنا قهوتك بردت وجمدت.

الأستاذ لا يجيب؛ حل الصّمت- صمت رهيبٌ داخل كلينا، أنا والصّبي- كرر الصّبي نداءه ..

يا أستاذ إنت نمت ولا إيه ؟ بَقولك القهوة سِقعِت.

لا إجابة، لا حركة بدت على وجهه الذي بدا شاحباً مُصفراً؛ زاد التوجس والخوف؛

ما إن أمسك الصبي بيد الأستاذ محاولاً لفت انتباهه، حتى صاح مردداً:

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عاد الضّجيج للسّوق، ارتسم الحُزن على الجميع، البكاء والهمهمات؛

لم أتحسّس نفسي إلاّ وأنا أسير في طريق العربات أسفل ممرّ الأشجار بمحاذاة الرصيف في صمت مطبق، لا أعرف بأي اتجاه تأخذني قدماي.

عَلَى ضِفَافِ الأَنْقَاضِ

أروى حمد الدغيشية، سلطنة عمان

مرحباً، لستُ أتحدّثُ عَلَى مَسْرَحٍ كبيرٍ، أتحدّثُ من مكانٍ مُختلف وفريدٍ لم يختبره أحد قبلي...مُستمعون مختلفون يُنصتون لحديثي.

كلّ شيء كانَ على ما يرام، قبل أن يترك الأبرياء بيوتهم قسراً، قبل أن تفقد أرباضُ المدينة جمالها، قبل أن تخلو الطّرُقات من السابلة في غوابسِ اللّيالي، قبل أن تصبح الشّوارع زلقة من الدّماء المتعفّنة، والأزقّة متشعبة من الأدخنة الهوجاء.

قبل أن تصبح أصواتنا رخيمة صدّاحة، قبل أن تتكدّس غيمة الظّلام في صدري، قبل أن تتّخذ نشوةُ الغضب من أنفاسي مسكناً، قبل أن تشعل بالنّار الدهاريرُ الّتي نالت منّا ببساطة، قبلَ أنْ يأخذ منّا الحنينُ مأخذاً، قبل أن يلوّنَ الزّمان ترهات الخذلان، قبل أنْ أخوضَ حديثا مع النّفس وما أضناها...كانَ كلّ شيء بخير قبل ذلك.

أعيشُ في زمن أصبح ضحيّة النّزاعات، تمتازُ ملامحه بجهل وطمع، أعيشُ في قرن ألبس بوعيٍ وإدراك مزيّفين.

حقوقٌ منتشلة، أرواحٌ مسلوبة، أنفسٌ مقهورة، أحلامٌ مستأصلة، أمنياتٌ نازفة، كل ذلك بسبب ضمائر فاسدة.

أعيشُ في مدينتي، الّتي بتُّ لا أعرفها ولا أعرفني! أعيشُ في الطّرقات التّعيسة المكدّرة بالغبار في أرضي المندوحة، حيثُ أضحى كلُّ شيء ركاما ودمارا، كلّ شيء متشابه، مساكنٌ مهدّمة وأزقّة ممتلئة بغازاتٍ قاتلة، لا فرق بين دهليز وآخر إلاّ بحجم الرّكام الّذي يتكدسه.

ماذا فعلنا كي يُعلنوا الحرب؟

قسوةُ الحرب تجعلُ أحلامنا تتدلّى نازفةً معلنةً نهايتها، أدركتُ الآن كلماتهم المبهمة المشبعة باستحقار.

أمتعضُ عندما أنتشلُ جثمان طفلٍ تعفّنت الدّماء عليه، أحتبسُ دمعاتي وأنا أرى شيخا قد أنهكه فراقُ ابنه، وامرأة قد حفظ لها التّاريخ صداها وهي تنوحُ بفقيدها الصّغير، يؤلمني منظرُ مدينتي الشّاحبة وأهلها الكالحين، يُوجعني مشهدُ الأسير وهو يزجّ بوحشية إلى السّجن وطفلة تبحثُ بجنونٍ عن والدها بين الجثث لتطبع على جبينه آخرَ قُبلة...آه يا مدينتي.

في مسرحي المختلف حيثُ ألفظ كلماتي الأخيرة، يتهادَى إليّ صُراخ أمّي من بعيد ونداءُ أبي الّذي لا يتوقّف، أشعرُ بأخي وهو يحاولُ إقناع نفسِه كيف سيكونُ وحيداً من دُوني بعد يوم مُتعب قُبيل الظهر، كُنتُ أتّكئ بمبنى سكنيّ سامق بعد أن أنقذنا ثلاثة أطفال جرحى، أحدُهم قُطّعَتْ رجله من رُكام منزلهما بعد أن قصفته إحدى الغارات الجوية، ويا لولعي قُتل أبواهما ونجا الأيتامُ -لطفك يا الله-عندما طلب منّي أخي أن أنتظره ليجلبَ الماء، تذكّرتُ أمّي وهي تنهرنا بقولها: لا تتأخّروا... لأنّها ستصنعُ لنا الطّعام الّذي نحبّه، لحظتها انتابني فضولٌ للسّرّ الّذي أراد أبي أن يُودِعَهُ في عُقُولِنَا في المساء، تأخّرَ أخي وأنا في قمّة العطش، سَمِعْتُ صَخَباً في السّماء، حينها أدركتُ أنَّ الطَّائرات الحربيَّة عادتْ باحتفالاتها مرّة أُخْرَى...

غاراتٌ ذاتُ أشكالٍ قبيحة وصواريخ مقيتة وغازات مميتة، لسوء الحظ أُسقطت الغارات على المبنى السكني الكبير الذي كنتُ أتّكئ عليه، فأنا أتحدّثُ الآنَ من ركام...تحت أنقاض!

لعلّهُ مَسْرَحٌ، كان الرّكام والحجارة والغبار مستمعين وحيدين إليّ، لم أدرك كم من الوقت مضى وأنا مُغمى عليّ، إلاّ أنّه أيقظني ضجيج ولغط كثير حول الرّكام الّذي يُحيطني، يُنذر بتباشير الأمل، ربّما سأنجو وربما لا، حريٌّ بواحد مثلي أنْ يستبدّ به خوفٌ وقلق، لا أستحقُّ أن أعيش وقلبي مملوء بضيم.

الآن أنا وحدِي،

لا أجدُ من يسري علي من الخوف، هذا بوارِي بدونِ منازع...كل شيء يوبقني، لا أحسّ بقدميّ...يداي قد تراكمتْ عليهما الجروح وفقدت من الدّم الشيء الكثير، قلبي يتألم، أنا أتألّم...تحت رُكام.

وها أنا أصوغ كلماتي وأحرفي بحبر متفرد لِلَمْلَمَتِهَا، لأنها آخر ما تبقى مني، يا لتعاستها فهي تتسربل من آلام قلبي، تنساب حروفي في غير ضوضاء لتصنع صدى يشوبه المرارة، بإمكاني رؤية بعض الثقوب التي لم ينل منها الركام، تتيحُ لي رؤية ما في عنان السّماء.

أنّاتُ بوحي سئمت منها ذرات الغبار والركام، اخترقتُ الصمت بضجيجي لعل أحداً يسمعني، ولكن الصمت خذلني وأصابتني حُرقته !

أستنشق أنفاسي الأخيرة تحت الركام، أشعر بالموت وهو يلوح لي بيده قادما إلي.

وداعاً لكل شيء،

أعتذر للركام الذي أشبعته بعبق كلماتي الحارة، له الشرف أن أهديته أناتي الأخيرة، وداعاً.

حالنا

ياسين بوفوس، المغرب

أصبحت حياتنا كطائر مقيد داخل القفص، قيدتنا الثورة التكنولوجيا وأصبحنا نعيش في عالم افتراضي، الكثير منا فقد هويته، مشاعره ووظائفه، حالنا يحكي واقعنا، ابتعدنا عن الحياة، أصبحت حياتنا مرتبطة بالتكنولوجيا المتطورة.

كان الهاتف وسيلة للاتصال والتواصل، لكن وبتطور هذه الوسائل، أصبح وسيلة للحياة، لنقل الأخبار وتلقيها بصوابها وخطئها، وبتلقي الإشاعات، أصبح وسيلة للشهرة، أصبح وسيلة للحياة، الكثير منا حياته مرتبطة بالهاتف؛ هذا أحمد؛ كان تلميذا مجدا مجتهدا يدرس بالمدرسة الابتدائية، لم تكن له علاقة بالهاتف، سوى بعض العلاقات العابرة، بالتواصل مع عمته البدوية وصديقه الذي يعيش في الجبل.

ذات يوم لاحظ أحمد أن جميع زملائه يتوفرون على هاتف خلوي ذكي متطور، فيه من التطبيقات ما يعينهم في دراستهم كوسيلة للتعليم والتعلم الذاتي، فقرر أن يطلب من والده أن يشتري له هاتفا متطورا يساعده في دراسته علما أنه سيلتحق بالتعليم الإعدادي، حيث ستزداد العلوم، وستتطور المسائل .. فحاول أحمد إقناع والده بذلك، ولإسرار أحمد على امتلاك هاتف خلوي، وافق الأب على شراء الهاتف، شريطة أن يحصل أحمد على نقطة مشرفة تأهله للالتحاق بالمستوى العلمي... كان أحمد تلميذا مواظبا، يراجع دروسه أناء الليل وأطراف النهار، كان من بين الأوائل، أعجب زملائه وأساتذته بمستواه العلمي حتى أطلقوا عليه لقب "عبقري القسم"، اجتاز الامتحان الإشهادي في آخر السنة الدراسية،

فحصل على الرتبة الأولى إقليميا، كرم أحمد في حفل التميز الذي تنظمه مديرية بلده في نهاية كل سنة دراسية، حصل على بعض الكتب العلمية والأدبية مكافأة له، وما زاده فرحة حصوله على هاتف خلوي اشتراه له والده تنفيذا لوعده، مما سيمكنه من حل المسائل الوعرة، واكتشاف العالم المحيط به، والتعرف على القارات والمدن عن قرب.

بعد مرور أيام زار أحمد صديقا له في المدينة وأخبره عن بعض التطبيقات الرائعة والرائجة في عصر التكنولوجيا، أخبره عن تطبيقات التواصل الاجتماعي، وتحميلها سيمكنه من اكتشاف جميع أنحاء العالم وأخباره، والتواصل مع مختلف أنماط البشر، رغم بعد المسافات، وبغض النظر عن الجنس واللون واللغة، أبهر أحمد بما قاله له صديقه، فقرر تحميل جميع التطبيقات الخاصة بالتواصل والتعارف الاجتماعي، وما أعجبه إلا بعض التطبيقات التي مكنته من تبادل الصور وتحميلها ونشرها رصدا للتعاليق والآراء رغم بعد المسافات واختلاف الأجناس.أصبح الهاتف جزءا هاما في حياة أحمد أدخلت الكثير من المصطلحات لثقافته ومداركه وأصبحت جزءا من نمط حياته، حيث بات لا يستطيع مفارقته ولو ليوم واحد، فهي المحرك الأساسي لسلوكياته..

اقترب موعد الالتحاق بالمدرسة، أحس أحمد أنه قد أفرط في استعمال الهاتف بشكل متطور وشديد، دون ضرورة لاستخدامه، أحس أن وقته مر بسرعة البرق، أنه لم يستعمله لضرورات تحصيلية معرفية كوسيلة للتعلم والمعرفة، أحس أن استخدامه للهاتف مناف تماما لما يراج عنه، لم ينكر أحمد أن للهاتف ايجابيات لكونه استطاع التواصل مع مختلف أنماط البشر، وأنه بفضل الهاتف استطاع خلق صداقات جديدة، والتعرف على العادات

المختلفة .. لكن اكتشف أن استخدام الهاتف أيضا ولد لديه إدمانا ببعض التطبيقات، حيث أنه يقضي معظم أوقاته مع الهاتف، وأنه أصبح حبيس العالم الافتراضي، أصبح كعصفور صغير مقيد داخل قفصه، وأصبح التوتر والقلق عنوانا له في حالة وجود عائق تواصلي، أصبحت حياته مهملة، وأصبح يعيش حالة منعزلة عن واقعه.

بدأ أحمد بالبحث عن بعض الأساليب الرائجة عبر الانترنت في محاولة علاج إدمانه بهذه التطبيقات قبل الالتحاق بالمدرسة، فأخذ يستعمل بعضها شيئا فشيئا رغم انتكاساته في بعض الأحيان، إلى أن تمكن من التغلب عن إدمانه للهاتف، وأخذت الحياة تأخذ مجراها مرة أخرى نحو التأقلم مع الواقع، حيث الحرية، حيث المشاعر الحقيقية، والأمل الدائم، مؤمنا بأن الحرية أن تحرر نفسك لا أن تجعلها مقيدة، فلا حرية بدون استقلالية وتأقلم، وكما قيل: إن عشت فعش حرا أو مت كالأشجار واقفا.

حيرة الجهل

عبد الله الحمداوي، المغرب

في محطَّة حياتِه الأخيرة، وَقَفَ متأمِّلاً الفوضى العارمة التي قادَتْهُ لِلَحْظَةِ الحقيقةِ المُرَّةِ هذه. تهونُ أهوالُ الدنيا بالنسبةِ لشيخٍ سبعينيٍ فيما عدا أشياء. أن يكون شيخاً ازدانَ من أروقةِ الحياةِ الماديةِ المكروبةِ وتركَ الحكمةَ العالِمَةَ مركونةً تحت حجرِ اللامبالاة، جعلَ من تجْرِبَتِهِ جحيماً تنعدِمُ فيهِ أصواتُ" قافِ "القراءة و"كافِ "الكتابة ,ويعلو فيهِ دويٌّ رعديٌّ صادرٌ عن زمجرةِ" جاءِ "الجهل.

كان رَجُلَ أعمالٍ غنياً، في حوزته شركاتُ بناء مقاه عِدَّةُ فيلاتٍ سكنية يُقِيم فيها بين الفينة والأخرى، سياراتٌ بماركاتٍ عالميةٍ مُسَجَّلَة تَمُرّ بالعقلِ مرورَ القطارِ البخاري بغابةٍ مطيرة، خدمٌ بتعدادٍ كبير وغيرها من الشائعات البرجوازية التي تتعطاها ألسنَةُ العامَّةِ كهوايةٍ تتِمّ مزاولتها وقتَ الفراغ.

الكلّ كان يناديه بأسماءِ استعارةٍ تدُلّ على مقامه الرفيع في المجتمع. ولأنَّ المُجتمعَ قائِمٌ على تقسيماتٍ ماليةٍ تضَعُ الناسَ في خاناتِ الجدولِ الفكتوريّ حسب مدخولهم الذي يَلِجُ خزنةً بشيفرةٍ في مكانٍ ما ,فقد كانت خانتُهُ عاليةً في الجدول .

هي خانةٌ تتقاسمها النّخْبَةُ النبيلة. ليس عَهْدَ النّبْلِ ,بل هي تسمِيَةٌ تؤَدَّى عَنْهَا الجبايَةُ اللغوية وضريبةُ المَعنى الفعليّ للنخبةِ المرتبطةِ رباطاً وثيقاً بالقَدْرِ المالي لا غير. أما القَدْرُ المعرفي ,عددُ الكتب المنثورة على أرفف منزلية بغرفةٍ يلجأُ إليها العقل وقت الحاجة وكذا الإلمام الثقافي بالمعرفة العالمية، فلا تعدو أن تكون أرضَ النخبةِ القاحلة أو مقبرتَهُم الجيليَّة.

بالنسبةِ للاسْمِ والنَسَبِ والحَسَبِ، فلها مدلولاتٌ كلاميةٌ تُغْنِيهِ عن التعريفِ في كل بلدان العالم. أينما حلَّ وارتحل ,يتِمّ الاحتفاءُ به وقرْعُ الطبولِ على شرفه. يَتِمّ الحديثُ في صمتٍ مُشَرّفٍ يُغْنيه عن الكلام والترجمةِ اللغوية. لا يَفْطِنُ في لغات العالمِ شيئاً غير الاستمتاعِ برفقة الأجانب بين الفينة والأخرى. الشيءُ الذي يُعْطِيهِ إحساساً بالتفوّقِ الطبقي ومنزِلَةً رئاسيةً على قِمَّةِ الهَرَمِ المجتمعي .وتسمياتُه عبارةٌ عن مؤشرِ ساعةٍ قديمةٍ يتدلَّى في تعلّقِهِ بخيطٍ رفيعٍ ويسافِرُ في الزمن جيئةً وذهاباً بين الألقاب من قبيل" سيدي "،"مولاي "،"السي بوجمعة " وهكذا دواليك. والدوالي تُدلي بشهادةٍ تعسفيةٍ من تاريخِ السيد الكفيف. ليس السيدُ كفيفاً، وإنما تاريخُهُ الاعتباطي الذي لا يُحْدِثُ تغييراً على وقع عقارب الساعة في حياةٍ هي أخْذُ وَرَدُّ الماديَّاتِ المُجَرَّدَةِ مِنْ معاني الروحانيةِ والوحيِ الاجتماعي. يدورُ الدولابُ في حلقةٍ مفرغةٍ هو أساسها.

والأساسُ يجب أن يقوم على أرضيةٍ قارَّةٍ ذات مقوّماتٍ عالميةٍ من قَبِيل الثقافة، العلم، التجربة الحياتية والإلمام المُطْلَق بالعاطفة والحاجات المادية في حدود المعقول.

ويبقى جالساً في معظم الأحيان، إن لم تَكُنْ كُلّ الأحيان، خائفاً من وقع الذكريات القبائلي التي تعصِفُ به غالباً. يتأمَّلُ فراغَ ماضِيه. ليس فراغاً بما يفهَمُهُ غيرُ المُثقفين أو عامَّةُ الناس، وإنما شيء مغايرٌ تماماً. هو زوجٌ سبعيني له ثلاثةُ أبناءٍ وأربعةُ أحفاد .

عاش قصصَ غرامٍ جسدية لا تخلوا من التعاويذ الجنسية التي تُلْقِيها الساحرات الغانيات مقابل قدرٍ مالي أو على شرف الأسياد وسادة الأسياد ,حيث زار مغاراتِ عشقٍ محرَّمةً على الفقراء والبائسين.

هو بنفسه كان فقيراً يوماً وآلافَ الأيام .بل أنه كان مُدْقِعَ الفقر لدرجةٍ لا يَجِدُ معها ما يستُرُ به جَسَدَهُ المنقوشَ بوحشية المعاناة، غير أسمالٍ بالية. حتَّى منظرُهُ كان بشعاً يتركُ في عينِ الرائي اشمئزازاً أكثرَ مِنْهُ رحمة، حزناً أو رِقةً لحاله. استطاع بعَرَقِ جبينِهِ ,أوَّلَ وقتٍ ,أن يقتات على ما يسُدّ به رمقَ جوعه .بعدها ,فهم قواعد اللعبة الحياتية فيما قارب الثلاثين ليدخل غمارها من أبوابها الخفية بكل ما أوتي من دهاءٍ كان تراكماً لعقبات الفقر التي كانت صخراً يسُدّ طريقه الغير مُعبَّدَة. طريقٌ ترابيةٌ كان يعلُو غبارُها كُلَّما حاولَ مسايَرَةَ وَقْعِ العالم .لم يكن يملك لا شهادةً جامعي، لا شهادةً قرآنية ولا شهادةً مدرسية، سِرّهُ دَفِينٌ لدرجةِ أنه دفنَ هيكلَ السرِّ المُخزي عميقاً عُمْقَ النسيانِ الكاملِ الأبد، بدأ منذ زمانٍ.

حين فهم ما فهم بِطَرْقِ الأبواب الصحيحة. رشى من رشى، اشترى من اشترى، مدح من مدح ودفع رواتبَ أشباحٍ إدارية تخافُ أشعَّةَ الشمس كونها مخلوقات ظل وظلام، من أجل تأسيس أول عملٍ شخصيٍّ له.

كان بَنَّاءً صغيرَ الشأنِ يعمل تحت إِمْرَةِ" مْعَلِّم "وإذا به يصبحُ هو" لْمْعَلِّم "الذي لا تعلو كلمةٌ فوق كلمته والذي يدير عِدّة أعمال تُدِرّ عليه دخلاً كان مُحرَّما عليه حتى في الأحلام والأحلام مجانية.

استمَرَّ في اللعبِ حسب قواعد اللعبة إلى أن استطاعَ فَتْحَ باب الطبقة الغنية بمفتاحِ الجَهْلِ لا مفتاح العِلْم. وعند بلوغه سن الستين، قرَّر الحج من أجْلِ ترسيخِ عاداتِ وتقاليدِ الطبقةِ الراقيةِ التي أصبحَ هو من أوجهها الاسمية والشكلية، حجّ، توبة، تَبَتّلٌ وعُمرَةٌ لا يَعْلَمُ لها مغزى سوى التشكيل الرسمي لأن المعنى ينبعُ من العِلْم. والعِلْمُ هو ما يرسم صورةَ المرئ,

مستقبلَهُ وحاضرَهُ .والطريفُ المُزْمِنُ في الأمر أنه لم يَكُنْ حافظاً لآياتٍ وسُوَرٍ قرآنية غير ثلاث: سورة الكوثر... سورة الفاتحة وسورة الإخلاص... حفظها غَيْباً غَيْبِيّاً بدارجةٍ تضرِبُ بالعربية عرضَ الحائط اللغوي... ألا إنه يحاول إحياء تعاليم نبيٍّ ورسولٍ هو أعلَمُ أهلِ الأرض, فكيف وصل به الحال المحال لأن يكون مختلفاً كل الاختلاف عن أُمَّةِ رسولِ دِينِ" اقْرَأْ?"

لحَدِّ الساعة ,لم يواجه عقبةً تُذْكر من شأنها تعرِيَةُ شخصيتِه الفارغة.. وبالتالي ,ظَنَّ أنه في منأى عن أهرامِ التفكِيرِ المعرفية .فهو ,مَنْ يُضْرَبُ له ألفُ حسابٍ وواحد.. صاحبُ حافظةِ نقودٍ بليونية.. والمال في نظرِه يشتري الرجال.. النساء... وكل ما يخطُرُ لجاهلٍ على البال.. وها هو يجلس على كرسيِّ اتهامٍ حيثُ هو المذنِبُ الجاني.. القاضي وهَيْئَةُ الدفاع.. ما من أحدٍ غيرَ نَفْسِهِ أذلَّتْهُ دون سابقِ إنذار.. كالَتْ لهُ وعيداً جعَلَهُ أشقى الأغبياء.. الذّل.. الخزي والبؤس أصبحوا وصمةَ عارٍ يَرَى انعكاسها على المرآة وقتما تطلَّع لوجهِهِ الذي ملأتْهُ تجاعيد الساعة الرملية.

توالَتْ سلسِلَةُ الأحداثِ التي أزالَتْ غشاوةَ التجاهلِ الإراديِّ والجَهْلِ المَرَضِيِّ عن عَيْنَيْهِ الغمامِيَتَيْن .ها هو جالِسٌ بمكتبِ الطبيبِ المُتخصِّصِ في أمراض القلب..هو طبيبُ العائلةِ منذ زمن ليس بقصير.. كان لا يزال.. كمريضٍ تحت المراقبةِ الطبية ,يرتدي بيجامةَ العيادةِ البيضاء وعلى معصمه سوارٌ يحملُ رقماً تسلسلياً للطوارئ واسْمَ العيادة .نقلوه على وجه السرعةِ الخميسَ الماضي بعد إصابتِهِ بذبحةٍ قلبيةٍ كادت تودي بحياته.. مرَّت الآن خمسة أيام على دخولِهِ" غرفة العناية المركزة".. لكنه استطاع بفضل الله أن يُفْلِتَ من مخالِبِ الموتِ هذه المرة.. إنما هو أجَلٌ لم يُكتَب بَعْد.. وبما أنه وأخيراً يستطيعُ التنقّلَ خطواتٍ مشياً على قدميه.. قرَّرَ

الطبيبُ أن تَتِمَ المداولةُ الكشفِية عن كسوفِ قمرِهِ ومداولةٍ تقريريةٍ بشأن حالته الصحية والتدابيرِ الواجبِ اتخاذُها.. بمكتبه.

لَمْ يعلَم الشيخ أنَّ القَدَرَ قرَّر أن يخوضا آخرَ جولَةٍ حياتيةٍ بشكْلٍ مغاير.. مِنْ تعبيرِ وجْهِ الطبيبِ المُتَجَهّم والمكفهِّرِ كَلَيْلٍ بدونِ سماء ,استطاع فَهْمَ المخْفِيّ وراءَ الكلماتِ الصامتة..هي حالةٌ صحيةٌ خطيرةٌ جعلَتْ من كل أزماته السابقة مجرَّدَ وقفاتٍ ترفيهية أو ابستمولوجية على أبواب الفكاهة التراجيدية..نطَقَ الطبيبُ بعد صمتٍ طال.. لم يكن سوى صمتِ احترامٍ يفرضُهُ مقامُ السيّدِ المريض:

-أنا آسفٌ جداً ,لكنَّ حالتك الصحية متدهورةٌ جداً.

من ثمَّ مدَّ لهُ أوراقاً مكتوبةً باللّغة الفرنسية وأخرى تحوي فقراتٍ باللغة العربية.

-لقد أعددتُ لك شرحاً مفصَّلاً عن حالتك حتى تستطيعَ أخذَ وقتك للاطلاع على كافة المعلومات التي سألَخِّصُها لك الآن وغيرها.

قال ذلك ثم سكت..وما سكوته هذه المرة سوى بضغْطِ القنبلةِ التي من شأنِهَا تفجِيرُ عالمِ الشيخ إلى العدم.. أما الآخر السيّدُ وعَلَمُ السادةِ يعني ,فقد كان في حالةٍ هستيريةٍ من نوعٍ آخر.. ألَمَّتْ به الطامَّةُ الكبرى وهو واقفٌ وقوفَ الجمادِ أمام خَطِّ عبورِ سَيْرٍ فيما ضوءُ المرورِ أحمرُ لا أخضر.. ولأنه مصابٌ بعمى الألوان المعرفي ,يقفُ كالأبله فيما يسيرُ غَيْرُهُ من الأشخاص في الاتجاهَيْنِ المتعاكِسَيْنِ عابرِينَ من ضفةٍ حياتيةٍ إلى أخرى ,بينما لم يستطع هو التململ من جُحْرِ الأحلام المادية التي غشيته منذ شبابه الفقير .وحتى رخصةُ القيادة.. على ذِكْرِ المرور ,

حصل عليها ذات يومٍ باتصالٍ هاتفيٍ واحد... بلْ حتَّى أنَّ مدير المصلحة تنقَّلَ شخصياً ليسلِّمَهُ إياها داعياً له بالصحة والعافية ودوام النعمة.

أحسَّ بدوارٍ كئيب يعصِفُ به ويعتصِرُهُ من الداخل.. في غفلةٍ منه.. قامت يدُهُ اليمنى بقبضِ روحِ الأوراقِ التي كانت تمسكها في شرود... في أسىً بالغٍ لا مبالغٍ فيه ,ندبَتْ الحروفُ التي كانت تتراقصُ تحت عينَيْهِ في جهلٍ متكاسل.. جَهْلٌ قَدِمَ ليبقى لا جَهْلٌ عابِر ,شرَفَه ,كرامتَه وبنيانَه السبعيني .بنيانٌ ما لبث أن انهار...وبقيت تمُرّ بخاطرِهِ هواجسُ الماضي والمستقبل...تفكيرٌ خاطريٌ قطعَ حبْلَهُ تأكيدُ الإعدامِ الذي نطقَ بحُكْمِهِ الطبيبُ المخضرم:

-أنا في غاية الأسى والأسف... فَقَدَ قلبُكَ نبضَ الحياة...أعني...بأنه قد يتوقف في أيَّةِ لحظةٍ إن أنت أجهدت نفسك... هنالك مشكل في

الصمامَّيْنِ الأورطي والميترالي وكذا الشريانَيْنِ التاجي والرئوي الَّذِين تدهوروا بفعل ضغط الدم المرتفع في سنوات شبابك. فكرْتُ في عملية زرع قلب واستشرْتُ العديد من أصدقائي وأخصائيين غيري... كما قمنا أيضا بدراسةٍ معمقةٍ لحالتك... إلا أن نسبة النجاح لا تتعدى واحداً في الألف... لا سيما وأن سِنَّكَ الذي يبلغ سبعين عاماً... يزيد من خطر العملية. أخذ نفساً طويلاً... ليُكْمِلَ بعدها بنبضٍ حسِيٍّ أكثر عمقاً وأكثر حزناً من الأول:

-استناداً إلى التحاليل وملفك الطبي ,يؤسفني القول أنّه لم يتبقى لك سوى ستة أشهر من الحياة على الأكثر.

لم ينتبه لبرقِ الخوفِ من الموت الذي خسفَ وجهَهُ قِسْمَيْن... ليس الخوفُ من الموتِ في حدِّ ذاتِه ,لكن الخوفُ من تركيبَةٍ رهيبةٍ خلاصتُها كلمتانِ مضافتانِ لبعضهما: الموتُ جاهلاً... لم

يرتشِفْ في حياته... أبداً... من فنجان القراءة والكتابة...اعتبرَهَا حِكْراً على من سَوَلَّتْ له نفسه إضاعة الوقت في خطِّ رموزٍ لاغيةِ المفعولِ في العالَمِ المادِيّ...وفي المنزل...عندما تطلُبُ منه إحدى حفيداته أو أحفاده مساعدتهم على المراجعة أو قراءة قصةٍ لهم... يتعذَّر بالقول أنَّ له شغلا شاغلاً عليه أن يبادر به أو ينهيه.

تنهَّد تنهيدةَ صعداءٍ ينفُثُها في الهواءِ رجلٌ ظَلَّ طولَ حياته يتسلَّقُ جبلاً شامخاً ظنّاً منه أنه قد بلغ القمة...ليجد نفسه في الأخير عند أقدام الجبل الذي يبتسم بسمة الانتصار والشموخ المتعالي...وأجابَ الطبيبَ ببرودةِ أعصابٍ رياحُها صقيعيةٌ لحدِّ الإحساسِ بالعبيرِ القطبي:

-لا عليك .لا تكن أسِفاً...رجلٌ في سني يتوقَّعُ في كل الأحوال زيارةَ الموتِ المفاجئة في بغتةٍ لا تطرقُ باب الاستئذان على كل.

سأعود لغرفتي حتى يتسنى لي الارتياح قليلاً، أشعر بقليل من الدوار.

ما أن عاد لغرفته، حتى اختلى بنفسِهِ المُعَذَّبَة .يُسَائِلُها وتُعاتِبُه... يعاتِبُها وتُجْرِمُ في حقه، يُذَكِّرُها بهفَوَاتِ الوقتِ الضائع وتضَعُ سيناريوهات حياتِهِ على كفَّةِ الهذيان، بَحَثَا عن حلٍّ يُمَكِّنُهُ من قراءة تلك الأوراق بنفسه... دون طلب معروفٍ من أحد، قبل أن يلقى الموت على جبل الاستكانة .وهنا قطع على نفسِهِ وعداً بأنه سيجيد القراءة والكتابة... ويحسن التكلم بالفرنسية والعربية قبل مماته وذلك...مهما كَلَّف الثمن. حمل هاتِفَهُ المحمول ليتَّصِل بوكيل أعماله...طلب منه تعيين أستاذَيْ عربيةٍ وفرنسيةٍ بدوامٍ كاملٍ على الفور .لم يطرح الأخيرُ أسئلةً تبادَرَتْ إلى ذهنه... وإنما فعل كما أمِر.

غادر المستشفى بعد يومينِ بتمامِ الصحة والعافية التي يمكِنُ لطريحِ فراشِ الموت أن يأمل فيهما .قابَلَ من فوْرِهِ الأستاذيْنِ ليضعوا برنامجا تعليمياً أقلّ ما يقال عنه أنه تدريبُ ميليشيا القراءة والكتابة.

ترك كل شيءٍ جانباً... المال والأموال والخدم وغيرهم... ولم يعد يهمّه ذلك كله.

كل ما كان يتراءى أمامه هو شبحُ الموت دون قراءة تلك الأوراق، وهو دافعٌ أعطاهُ رغبةً في التعلّمِ بلا حدود.

أصبحت الكتُبُ قهوتَهُ الصباحية وسيجارَتَهُ المسائية... أصبحت الجُمَلُ المبعثَرَةُ في غرفتِهِ رُفَقَاءَ سهرٍ وسَمَرٍ ليلي .أصبحت الحروف التي يُدَندنها كصبيٍّ في الرابعة هوَسَهُ الخريفي .غاب عن الناسِ والناسُ تسألُ عنْ" مولاي بوجمعة "اختفى أثرُ المقام من عينيهِ لأنه تعلَّم في وقتٍ قصيرٍ دروساً وعبراً لم تكن مرفوفةً سوى بين صفحات الكتب... من بينها التواضع... حسن الأخلاق... المساواة واحترام الفقير... ما أبكاه في أيامه هذه، كان واقع أنه لم يَفْتَحْ مُصْحَفاً كريماً في حياته لِيَتْلُوَ آياتٍ من الذِّكْرِ الحكيم... ما أضافَ دافعاً آخر لسلسلةِ الأسباب التي تُشْعِلُ فيهِ كُلَّ يومٍ فتيلَ العِلْمِ والتَعَلّمِ وتُخْمِدُ حريقَ الجَهْلِ والتجاهل.

أحرز تقدماً ملحوظاً في تعلّمِهِ واستطاعَ القراءةَ والكتابةَ باللّغَتَيْنِ في ظَرْفٍ زمنيٍّ لا يتجاوز ثلاثة أشهر... ما استحقَّ عليه ثناء الأستاذَيْنِ الَّذَيْنِ لم يسبِقْ لهما أن شهدا عطاءً مماثلا... ولم يتوقَّفْ عند ذلك الحد... بل أنَّهُ ثابرَ في تعلّمِهِ وأبقى على وتيرةِ حصصهِ مع تخصيصِ وقتٍ لتلاوةِ القرآن وبهجةِ الجلوسِ مع أحفاده في دَوْرِ الجَدِّ الحنون والأستاذ المُتميزِ بأسلوبِ التألّقِ الروائي... بل أنَّهُ خلقَ عادةَ قراءةِ قصصٍ ليليةٍ لهُمْ قُرْبَ المدفأةِ التي لا يخبو لهيبُ خشبِها... في

كل ليلة ,يختارُ بالتناوبِ ولا يحتار، قصةً فرنسية وأخرى عربية... تجلِسُ حفيدتانِ له في حضنه فيما يُحيطُ به الآخرون بين من هو جالسٌ ومن هو راقدٌ على وسادة، فيما يعلو صوتُهُ وينزل في غبطةِ روائيٍّ عجوزٍ لا تُقَدَّرُ بثمن.

نسيَ المَوْت .غادر طيفُ الأوراقِ الطبية خيالَ هواجسِهِ القديمة... ها هو الآن يبلُغُ من السن ثلاثةً وسبعين عاماً .حجَّ مرةً ثانية... ولكن بميزانٍ قرآنيٍ يقاربُ الثلاثينَ حزباً هذه المرة... أعاد تنظيم حياته حيث بنى دار عجزة...دار أيتام...دار محتاجين...مركزاً يتكفَّل بالأرامل وأخذَ على عاتِقِهِ القيامَ بأعمالٍ خيريةٍ جعلَتْهُ من خيرة أهل البلد.

وفيما كان يجلس يوماً في مكتبه... وقع نظرُهُ على الأوراقِ الطبيةِ وتراءَتْ له المحنَةُ التي مرَّ بها في أواخر حياته... حملها متأمّلاً إياها ببسمةِ المنتصر الذي بلغ قمَّةَ جبلِ الحكمة الحياتية... وقفَتْ يدُهُ وقوفَ الساعَةِ الرملية حينَ نُزُولِ وتساقطِ الرَّمْلِ الفوقِيّ إلى الأسفل... لا ترتعش... لم يفْتَحْهَا ولم يُقَلّبْها .فَهِمَ ما فَهِم... بعدها... اقترَبَ من المدفأةِ التي كان خشبُها لا يزال يتفاوَتُ بين اللهب الأحمر... جمرٍ برتقالي ولهبٍ أزرق... ألقى الأوراقَ التي ما أن لامست النارَ حتى تحولَّت رماداً فيما ردَّد لسانُه التائبُ بأصولِ العِلْمِ والثقافةِ آيَتَيْنِ قرآنيتَيْنِ أحبَّهُمَا:

""""""""إنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاء """""""و""""""""قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِين يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُون.""""""""

فاقْرَأْ يا عَرَبِي__...

حكم الله

شاهر جوهر، سوريا

نُدف الثلج الكبيرة تتساقط بغزارة حول مخفر الشرطة، ترسم طبقات رقيقة فوق سطح المخفر والبيوت والأشجار المحيطة، بعد لحظات تركن سيارة الشرطة في المكان، يترجّل منها الشرطي "إيوان" وسيّده "معروف"، قبل أن يُخرجا شاباً مذلولاً من الباب الخلفي للسيارة، غرس "إيوان" بيده الثخينة نطاق سروال الشاب من الخلف وأمسكه بعزم، في حين سحبه "معروف" من ياقة قميصه بقرف وقذفاه في زنزانته.

كان "عوشر" فلاحاً بسيطاً عشرينياً ناحلاً، ليس بالطويل ولا بالقصير، نما الشعر بتعب على وجهه المرعب، وانسدلت من تحت منديله المتّسخ الذي يغطي رأسه كعمامة خصلة شعر طويلة متلبّدة يبدو أنها لم تمشّط منذ زمن بعيد، في حين دَكّ نهايات سرواله المرقّع في جزمته الطويلة التي فاخت منها رائحة زبل البقر الزّنخة.

في الزنزانة سجين متأنق في منتصف العقد الثالث، يلف ساقاً فوق ساق ويحدّث نفسه طوال الوقت، وبين فينة والأخرى يفرّ واقفاً ليدور في زاوية الغرفة، وتحسبه يضرب أخماساً بأسداس ويستغرق في تفكيرٍ عميق.

جلس عوشر بالقرب من الباب كليلاً، يلتفت حوله و يفكر بنفسه ببسور (ما الذي فعلته بنفسي، يا لي من غبي، ليتني لم أسمع كلامها).

نظر إليه السجين وأشار إليه بيده :

- هيه أنت

رمقه عوشر بنزق:

- هل تحدثني ..؟

قلّب السجين ناظريه في المكان باستهجان:

- وهل يوجد مجرمَين غيري وغيرك في هذا القصر المنيف؟

قال عوشر في نفسه (يا إلاهي هل أصبحت مجرماً، أنا الأبله الذي سمعت كلامها)، ثم وجه حديثه للسجين بنبرة غاضبة :

- هناك أصدقاؤك العفاريت من تكلمهم منذ دخلت "قصرك" اللعين هذا.

ضحك السجين بطريقة تشبه إقلاع محرك زراعي، وهي طريقة يعرفها عوشر جيداً :

- هئ، هئ، هئ، تعال، تعال و احكِ لي حكايتك.

مكث عوشر في مكانه دون أن يراعي دعوته. تململ الرجل، ثم اقترب منه ومدّ يده ليصافحه:

- السلام عليكم، اسمي "أدهم" من ريف العاصمة وأعمل محامياً، أسكن في هذه البلدة الخارجة عن سيطرة الحكومة منذ سنتين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، أي منذ قرر الاسلاميين قتال الحكومة، وأنت؟

استوى عوشر في جلسته، و صافحه بتثاقل :

- وأنا عوشر من سكان هذه البلدة

- ممم، يبدو أن جنايتك كبيرة حتى أنك لا تقوى على الكلام أو النهوض. أنا محامي يا هذا وأعرف جيداً قوانين هؤلاء الرجال، تكلم وسأساعدك .. هل هي المرة الأولى التي تُسجَنُ فيها؟

- نعم

- عرفت ذلك، نحن الحقوقيون لدينا معرفة ببواطن الرجال حتى وإن لم يقولوا ذاك جهارة. وماذا فعلت؟ هل قتلت، انتهكت الأعراض، اعتديت على أحدهم ؟ ممم، أم أنك اقتلعت عين أحدهم، إن كنت فعلت ذلك فالأمر سهل قد يقتلعون عينك وتنتهي القصة

- بل سرقت

- أوه، هذا فعل سيء يا رجل، شاب مثلك يسرق، المؤمن لا يسرق يا هذا، لا عليك يحدث أن ينزغ الشيطان رأس المرء. على كلٍ حدثني بالتفصيل حتى أساعدك، هيا لا تفرغ صبري أنا "أدهم جاد الله" أكبر محامي في العاصمة قبل الحرب بأعوام، كما أنّي كاتب وأديب، هل سرقت دكان؟ أم صاغة جارتك؟ هيا تكلم .

كوّر عوشر جسده من البرد، ثم أخذ ينفث أنفاسه الدافئة في قَعْرِ راحتيه:

- لم أكن أريد فعل ذلك صدقني، زوجتي هي السبب

- لا تحدثني عن النساء يا أخي، أنا ضعيف حيالهن، أعرف أنهن ماكرات في كل شيء، حتى أني لأعتقد جازماً أن هذه الحرب هن من أشعلنها.

سكت أدهم قليلاً ثم أخذ يتأوه :

- أهٍ ما أجمل النساء، أكمل يا رجل أكمل، وما علاقة زوجتك بوجودك هنا .

- هي طلبت مني أن أسرق كيسين من الحصى المتناثرة على طرفي الشارع حتى أفترشها لبقرتنا في الزريبة، فهذا الشتاء قاسٍ وزريبتنا تكاد تغص بالطين

حصر أدهم رأسه بكلتا راحتيه مدهوشاً :

- أوه، هل تقصد أنك سرقت من الأملاك العامة.. يا إلاهي !

- جمعت كيسين فقط من الحصى المتناثرة على طرفي الشارع، فهو زائد عن حاجته ولم يقل المجلس المحلي أن ذلك مال عام. كما أن رئيس المجلس قام ببناء بيته الجديد من المواد المخصصة لتعبيد الشارع، زوجته أخبرت زوجتي بذلك، والكل في القرية يعلم ذلك، لكن لا أحد يستطيع ذكر الأمر علناً لأن لدى عائلة رئيس المجلس فصيل عسكري كبير يحميه.

دمدم أدهم، ثم فرّ واقفاً، وعاد يتجول في الزنزانة :

- أعذرني يا هذا لا أستطيع مساعدتك، فهذا لا يبرر لك السرقة

قال ذلك وعاد إلى مكانه في زاوية الزنزانة. زحف عوشر بالقرب من أدهم ترفس ركبتيه قاع السجن:

- وهل جنايتي عويصة إلى هذا الحد؟ أنت محامٍ وتعرف في القانون.

عاد أدهم للتأوه من جديد:

- آه ماذا أقول لك أيها الشاب المسكين، قانونهم غير قانونا الذي درسناه في الجامعة

سأل عوشر وفي لهجته تسخيف لكلامه :

- سأسجن؟ ليكن، سأدفع لهم ثمن الكيسين وتنتهي القضية

- هئ، هئ أنت تسرق المال العام، هل تعي ما أقول؟ و ستحاكم وفق قانون ديني لا لعب فيه، أتعتقد أنك لازلت محكوماً بقوانين الحزب الحاكم، سلطة الحزب انتهت في هذه القرية منذ سيطرة المعارضة عليها، أنت تعيش تحت حكم الله و سلطة الثورة وهي سلطة لا مراء بها. أم أنك تعترض على سلطة الثورة؟

تبدلت حال عوشر، وتغير حبره وسبره:

- لا أعوذ بالله.. لكن.. هل تقصد أنه من الممكن أن يتم قتلي ؟ ألأجل كيسين من الحصى أُقتل؟ إنك تهذي يا هذا ؟ لم أسمع أنهم قتلوا أحداً لمثل هذا الفعل؟

- هئ، هئ، لاتزال غِرّاً يا ولد، أعرف أحدهم قُطعتْ يده لأنه قطع شجرة، وقبل شهر قاموا بجلد شاب مئة جلدة وقاموا بتغريمه مئة ألف ليرة

- وماذا فعل حتى صنعوا به ذلك ؟

- لا أدري، أتعتقد أن رأسي كمبيوتر لأحفظ كل شيء.

دخل عوشر في شرود عميق، حاول أدهم مواساته بطريقته :

- توكل على الله يا ولد. لا أعرف ما أقوله لك، أنت تنشل المال العام، وهذان الكيسان من مال المسلمين، انتهينا إذاً، قد صدر حكم الله فيك، بعد قليل سيستدعونك للتحقيق ولن يصدقوا روايتك، وستُسأل عن جماعتك. كم عددكم، لأي جهة عسكرية أو سياسية تنتمون، هل لديك ارتباط بالحكومة، وما هي الأماكن التي قمتم بسرقتها طوال هذه المدة؟

تأفف عوشر:

- جماعتي!؟ بماذا تهذي يا رجل، أقول لك أني أخذت كيسين من الحصى الفائض عن حاجة الشارع لأفترش زريبتي ، وتسألني عن جماعتي، هل أنت محامي أم محقق؟

- هئ، هئ، اهدأ سأحاول رشدك، أخبرني من هو صاحب الدعوة ؟

تنهد عوشر الصعداء بتوتر:

- رئيس المجلس المحلي، لقد قال أن الشارع اختلّ تقويمه بسببي.

سكت أدهم، ثم نام على بطنه وقد انفجر ضاحكاً :

- لن تنجو يا رجل، لن تنجو.

تركه عوشر وعاد إلى مكانه، يتفكّر في كلامه محاولاً إقناع نفسه تفنيد ما دار من حديث، في ذات الوقت عاد أدهم واستقام في جلوسه ثم تربع في جلسته وقال بجديّة:

- إن العرب إن عَفوا عن لصهم ضربوا بسيوفهم ناصيته، كنت أتمنى مساعدتك، فلتسامحني على ذلك، سأبقى أتذكرك ما حييت .. يا للنساء كم هن خسيسات.

ثم زمّ شفتيه ورفع يديه دليل عجزه، ولم يقوَ على كبح فمه عن الضحك بهستيرية.

بعد لحظات فُتح باب الزنزانة، وتم استدعاء عوشر للتحقيق معه، بقي قرابة الساعة في التحقيق، وعندما عاد كانت قد جمدت الدماء في عروقه، جلس ولم يتفوه بحرف. و بينما أدهم مستلقٍ على ظهره وقد رفع ساقيه إلى الجدار ودون أن يلتفت إليه، قال :

- ها، لم تصدقني. ما قلته لك لم يكن تلفيق كاتب ولا اختلاق شاعر، قلت لك أنا محامٍ.. محامٍ

وكمن يحدّث نفسه، طأطئ عوشر رأسه :

-سألوا إن كنا عصبة نمتهن اللصوصية والاحتيال، لكنهم لم يضربوني، وعندما سألتهم إن كنت سأعدم ضحكوا من أنوفهم، حتى أن رئيس المخفر كاد أن ينقلب على ظهره خلف كرسيه من شدة الضحك، وقال رفيقه ببرودة "سنقتلك فقط!؟ بل سيتم تقطيعك وربما حرقك".

قال عوشر ذلك ثم اندفع يبكي حتى ابتل شعر وجهه، التفت إليه أدهم برفق:

- لقد صَعُبَتْ حالتك عليّ، لذا سأساعدك، هناك مخرج وحيد كي تنجو

اقترب منه أدهم وراح يوشوشه :

- بعد ثلاثة أيام سيتم نقلك إلى المحكمة الشرعية وسيصدر بحقك الحكم، وفور خروجك من باب هذا المخفر سيكون بإمكانك الهرب، أركض، أركض ولا تلتفت خلفك.

- لكنهم سيطلقون النار عليّ

- لن يفعلوا، صدقني هذه فرصتك الوحيدة، وأنا أعي ما أقول، كما أنه ليس أمامك أي خيار آخر، وإلا سينفّذ فيك حكم الله.

قال ذلك وراح يضحك كعادته ويعوي كالذئاب

في صباح اليوم الثالث فتح "إيوان" باب الزنزانة، وهو يرتدي بنطاله الصحراوي القصير، يترنح و يتثائب من النعاس، ثم صاح :

- عوشر جهز نفسك سوف تخرج

رد عوشر، والذي لم ينم ليلته تلك وهو يتفكر بكيفية الهرب :

- إلى أين؟

- إلى أين يا أبله! للإعدام، هيا أيها الأبله، لقد خنقتنا برائحة الزبل المنبعث من لباسك

نظر إليه أدهم:

- كما أوصيتك أركض ولا تلتفت خلفك.

خرج عوشر، وما إن وصل باب المخفر حتى أطلق ساقاه للريح و ركض حتى انقطعت أنفاسه، وخلفه يقف "إيوان" على باب المخفر واضعاً يداه في جيوبه ويصرخ ضاحكاً:

- توقف يا مجرم

سمع عوشر صراخه ودون أن يلتفت عَبَر الشارع وهو يتمتم (صدر حكم الله .. صدر حكم الله)، فجأة تصدمه سيارة نوع تايغر مسرعة، ليسقط متضعضعاً مهشم الوجه على الأرض، هرع الجميع نحوه، أسرع "إيوان" وقد احتضنه بكلتا ذراعيه :

- لماذا هربت يا مجنون، كنا نريد إيصالك لبيتك وزوجتك ..

تسايل الدم من أنف عوشر، وراح ينشج بلوعة :

- كنت .. كنت أريد أن أهرب من حكم الله .. لكن أين المفر، نحن الجناة الضعفاء لن نقدر على الهرب من حكمه .. ليتني لم أسمع كلامها وأسرق، كيف سألقى الله بهاتين اليدين الآثمتين ..

كثر الهرج حوله، وارتفع صوت إيوان :

- أحضروا مسعفاً .. إسعاف

دمعت عينا إيوان، وتخضّبت سترته بدماء عوشر الذي سرعان ما جفأت عيناه

متاهة سيزيف

عماد أفقير، المغرب

ها هو صديقنا "سيزيف" قد ضاقت به السبل، وتوالت عليه المحن، كان يحمل همّا بثقل الدنيا، كان محكوما عليه أن يتحمل أخطاء الآخرين ويتعايش معها. فهو لم ينسَ بعدُ الخطأ الذي ارتكبه ضابطُ الحالةِ المدنيةِ، الذي أضاعَ همزةَ اسمهِ العائلي، فتحملَ وزرَ هذا الخطأ في كبره، تمنى أن يلقاهُ يوما إن كان على قيد الحياة، ليلقي عليه قول الشاعر:

"يا شيخُ فلتعد الكتابةَ والقراءةَ مرة أخرى، أراكَ لحنت".

على عكس أقرانه المنشغلين دوما بتقديم طلبات العمل، كان صديقنا منشغلا بتقديم طلب تصحيح اسمه في الشهادات الدراسية الممنوحة له، وأي تصحيح؟ تصحيح الصحيح بالخطأ... فلم يدرِ أيهما الصحيح.

اتجه ذات يوم إلى العيادة والطبيب لم يصل بعد، استفسرت الممرضة (المستقبلة)، عن سبب الزيارة، أجاب مختصرا: أنا مرهق بالأسئلة...

طلبت منه الانتظار، وبعد ساعة تزايد عدد الزوار، ها هو الطبيب يدخل باب العيادة، يلقي نظرة عابرة على قاعة الانتظار، فجأة يصيح بأعلى صوته: "الله أكبر" تساءل الزوار (المرضى)، عن سبب التكبيرة الرنانة، ليكون الجواب بعده واضحا، حين عانق رجلا كان آخر زائر (مريض) يدخل باب العيادة، نظر إليه الجميع، هز رأسه معتذرا: لقد حجز موعدا معي منذ أيام. الموعد الذي كانت تجهله الممرضة (المستقبلة)، وقف صديقنا في آخر الركن، واتجه نحو الطبيب، أخبره أنه نسي الأعراض التي قادته إلى عيادته، وأضاف قائلا: والله

جلوسي لمدة ساعة هنا كانت كافية لتجتمع في هذا الجسم السقيم كل علل الدنيا، وأبشرك الآن بمرض آخر كنت سببا فيه، لن يفلح في علاجه طبيب آخر، علاجه ينتهي هنا في هذه القاعة،لم يستطع هذه المرة تحمل خطأ الطبيب، وأخرج غضبه قبل أن يخرج من العيادة.

انصرف حاملا معه هما آخر...همّ المرضى الذين تركهم ينتظرون مصيرهم المحتمل (الموت) من قاتل متسلسل، يعيد كل يوم تمثيل جريمته فيقتل مرضاه بالانتظار لا بجرعة المورفين، وكأن صديقنا يرى الطبيب نسخة عربية من "فريدريك شيبمان".

غادر لكن الأسئلة لم تغادر ذهنه، أ كان عليه أن ينتظر مع المنتظرين؟ غادر ولم يدرِ أي القرارين أصح... واصل سيره وحين بلغ إحدى شوارع "بني مكادة"، حيث المكان كما العادة مكتظ بالمارة، وعلى حين غرة بدأت كتفهُ تراقص الأخرى طربا بعد مروره على بائع أشرطة موسيقية، نسي من خلالها غضبه والقاتل "شيبمان"، وبعد بضع خطوات تناهى إلى مسمعه صوت ثلاث شاباتٍ يافعاتٍ، يصرخن بصوت ناعمٍ، وفي آن واحدٍ، لم يتبين في البداية مضمون وفحوى شدوهن، فقادته قدماه إلى المكان ليسمعَ: "أجي ذوق نسكافيه فابور"، فتساءل كيف لشابات في ربيع عمرهن أن يقبلن بأداء هذا الدور؟ تكاثرت الأسئلة في ذهنه ، أحس أن فنجان قهوة سوداء، كفيلة لكي تطفئ غضبه، وتعيد ترتيب أفكاره، وتجعله يرى في سوادها انفراج حاله، واندثار غضبه...

ولأنه كان مولعا بالشعر، تستهويه الكلمة الرقيقة العذبة، فقد انتقل بين المقاهي ليختار مقهى يشنف فيه أذنيه بالطرب الأصيل، ويجمع بين غواية فنجان قهوته وسحر

الكلمات النقية المتدفقة كتدفق الماء صافيا من منبعه، وواصل سيره ساعيا إلى الجمع بين الرغبتين (فنجان قهوة، والاستمتاع بأغنية من الزمن الجميل).

استقل سيارة أجرة قاصدا "بيت الطرب"، وانزوى في ركن من المقهى، ينتظر جميلتيه. ويسترجع سلسلة الأسئلة العالقة في ذهنه، عسى يجد لها أجوبة شافية. فصديقنا "سيزيف" محكوم عليه أن يحمل في ذهنه أسئلة الدنيا، ويبحث عن إجابات لها لتعود بعدها أسئلة أخرى...

الظّل المراوغ

سلاهب طالب الغرابي، العراق

كان اليومُ طويلاً ومليئاً بالأحداث، وكانتْ شوارع بغداد لاتزال باردة تحت غطاءٍ من السُّحب، قادَ أحمد سيارته وكان يمعن النظر الى الطريقِ لطالما انزعجَ من قيادة المركبات ليلاً ! إلا أنهُ قد أصرّ على إنهاءِ عملهُ في الشركةِ الهندسية التي تم قبولهُ فيها مؤخراً، وللحظةٍ شعر بشخصٍ ما يراقبهُ!

أرغمَ نفسهُ على التفكير بأنهُ سيكون بخيرٍ حالما يصل الى منزله، وفجأة توقفتْ سيارتهُ غادرَ أحمد السيارة، وهو يلعنُ حظهُ واتضح لهُ أن وقود السيارة نفذ، تسارعتْ نبضاتهُ على نحوٍ خارج عن السيطرةِ، سادَ الصمتُ، ولم يعدْ يسمع شيئاً ولم يجدْ أيّ أدلة على سلوكٍ معادٍ كأن الَّذي يخيفهُ في الظلامِ لايريدُ إخافتهُ.

أنصتَ لحفيفِ الأوراق المتحركة على الاسفلت، نظرَ الى الساعةِ ستصبح العاشرة بعد قليل، اقترب للرصيفِ وحدّقَ إلى الواجهة الأمامية للمُجمع السكني في شارع حيفا، بدتْ المباني كما لو أنها تعرضتْ لقصفٍ مدفعي، والبرودة سحبتْ لونها فبدتْ لهُ متشابهة، ارتجفَ برداً ولكن ماهوَن عليهِ ذلك، معطفهُ الصُّوفي في السيارةِ، فعادَ وأرتدى المعطفَ وتنعم بالدفءِ، رنَّ هاتفهُ المحمول، بحثَ في جيبهِ، فكانتْ أمهُ... إنهُ الاتصال الثالث لها.

- آلو.. أهلاً أمي.

- أينَ أنتَ يا أحمد؟ الطقسُ أصبح بارداً وأخشى عليكَ من أن تُصابَ بالزكامِ .

- لاتقلقي يا أمي أنا في طريقِ العودة إلى البيت .

- حسناً.. سأكون بإنتظاركَ يانور عيني... رافقتكَ السلامة.

لم يرغبْ بإيقاد نار القلق فيها، تنفسَ بِعُمقٍ ثم أعاد الهاتف إلى جيبه، تساءل بطريقةٍ مبهمةٍ عما لو أن أحداً يساعدهُ، وأمل من صميمِ قلبهُ أن يكونَ هذا الزعم صحيحاً .

رأى رجلاً مسناً في مدخلِ المُجمع السكني، مرتدياً سترة قصيرة يكاد يموت من البردِ تخَيل لهُ أنهُ حارس المُجمع السكني.

اتجه أحمد نحو الرجل طالباً منهُ يد العون راجياً أن يزودهُ بقليلٍ من الوقودِ، والخوفُ يتسلل إلى عينيهِ .

فجأة...اِهتزتْ الأرضُ، وحدثَ انفجارٌ مروعاً، كان الانفجار كضربةِ سوطٍ، أغمضَ عينيهِ وكانتْ الصور تمر بسرعةٍ أمامهُ كما لو أنه كان فتى في السِّن العاشرة من عمره، وأمهُ في ممرِ المستشفى تدعو الله أن يحميهُ لها ويخرجهُ من الغيبوبةِ بعدما سمعَ خبرَ وفاة والدهُ.

إلى أن سمعَ عويلاً، وروائح كريهة، نهضَ أحمد ووجدَ نفسهُ في المستشفى، وأجمعَ تركيزهُ على أن يتذكر بأن ذلكَ حدث قبل عشرون عاماً، أكملَ الدعاء حيث انتهتْ منه والدتهُ، فلله القدرة على كلِّ شيءٍ.

ولمحَ أمهُ منتظراً منها أن تطير به فرحاً كما أعتادَ على حنانها، إلا أنها اشاحتْ بوجهها للطبيب وتتوسل بهِ قائلة:

- أرجوك دكتور أخبرني عن مدى خطورة ابني ، حينها أحمد نفذَ صبرهُ واتجه نحوها إذا ما سمعَ الطبيبَ يخبرُ أمهُ:

- إصابة ابنكِ كانتْ خطيرة ولم نستطعْ أن نقدم لهُ شيئاً فقد وافاهُ الأجل في لحظةِ الانفجار، البقاء لله، انهارتْ وسقطتْ أرضاً فور تلقيها الخبر، لوّحَ أحمد لها بيدهِ ويخبرها بأنهُ هنا ولم يصب بأذى، إلا أنها لم تنصتْ إليهِ واتجهتْ مسرعةً حيث جسد ابنها الوحيد لتحتضنهُ قائلةً :

- لماذا لم تصطحبني معك ؟ ارتعشَ صوت أحمد وأشارَ لها بأصبعٍ مرتجفٍ أنا هنا ياأمي .. لاتبكي .

وكان أحمد مذعوراً ومندهشاً، كيف لهُ أن يكون ميتاً وهو مازال على قيد الحياة في ذات الوقت؟ .

حاول أن يكلمها ولم ينجح بذلك، فذهبَ إلى الطبيب وقال لهُ:

أنا مازلتُ على قيدِ الحياة تجاهلهُ الطبيب أيضاً!

جنَ جنونهُ بدأ يصرخُ في ممرِ المستشفى أنا لستُ ميتاً فتجاهلهُ الجميع، فعادَ بخطى سريعة إلى أمه واحتضنها ودموعهُ اطفأت ذهوله .. اقتربتْ الممرضة من أم أحمد كي تواسيها ، داستْ على قدمهِ دون كلمة اعتذار فصرخَ بوجهها هل أنتِ عمياء؟ وتجاهلتهُ هي الأخرى، ضاقَ الخناق عليهِ واكفهرتْ الحياة في عينيهِ، جلسَ قرب والدتهُ وهي تنعي ولدها الراحل الوحيد وكان يشاركها البكاء، إذا ماشاهد أمامهُ فتاة صغيرة ترتدي بلوزاً ابيضاً اغتالتهُ بقعة دم كبيرة، وتنورة سوداء فضفاضة، تحدثهُ قائلة:

مابكَ لماذا تبكي؟

عادَ الأمل لهُ مجدداً لأنهُ وجدَ مَن يراهُ.

فنهضَ مندهشاً مَن أنتِ ؟

- هل حقاً تشاهديني وتسمعيني؟

- نعم.. أنا دعاء مازلتُ في غرفةِ العناية المركزة، منذ ثلاث ليالٍ نقلوني إلى هنا، بفعل انفجار سيارة مفخخة قرب مجمعنا السكني في الصالحية .

أصابَ أحمد الذهول والصمت، مسكتْ يدهُ وشدتهُ معها إلى غرفةِ العناية المركزة في طوارئ مستشفى اليرموك .

وجعلتهُ يراها وهي في غيبوبةٍ وكان جسدها الصغير موصول بالأجهزة الكهربائية .

جلسَ على ركبتيهِ ومسكَ على نحوٍ مرتبكٍ إحدى يديها وقال:

مازلتِ على قيد الحياة يادعاء .

ابتسمتْ بوجههِ وقالتْ:

- مازلتُ بين الحياة وفنائها، مازلتُ أتمسكُ بالحياةِ لأجل أبي وأمي لا أريدهما أن يحزنا أبداً.

- يالهُ من عُذرٍ جميل، وهمهم مع نفسه يا إلهي كنتُ مشتتاً والآن مع طفلةٍ تفوقني حكمة، وأردفَ بسؤالٍ آخر كم عمركِ ؟

-أنا في الثانية عشر من عمري في الصف السادس الابتدائي .

وهزتْ برأسها وقالتْ:

تعالَ معي سنذهبُ إلى مكانٍ آخر، قادتهُ إلى سطحِ المستشفى، فأطالَ النظر إلى السَّماء وهمهمَ أيُعقل هذهِ نهايتي مرتْ حياتي بسرعة!

نظرتْ اليهِ دعاء وقالتْ بلهجةٍ حاسمةٍ:

هذهِ البداية ياأحمد .. نظرَ إليها متعجباً مما تتمتع بهِ من قدرة التكيف مع قدرِ الرضا.

كانتْ الساعةُ بالكاد قد بلغتْ الواحدة بعد منتصف اللَّيل.

تمعنتْ دعاء في وجههِ لم تجد فيهِ إلا اصفراراً وحزناً يكاد ينفجر من حدتهِ، والحيرة مستحوذة على مشاعرهِ، حملقَ في وجهها متسائلاً عن أنجعِ طريقة ليتخطى أزمتهُ .

وقال لها بلهجةٍ تُعبر عن طيبتهِ:

كرستُ حياتي وأنا لم أجيد سوى الدراسة، كنتُ أحيا حياة رتيبة مع أمي بعد رحيل والدي وكانتْ تحرص على تحقيقِ مطالبي، بالرغم من دخلنا المحدود، لم أتزوجْ وكرستُ حياتي لها واكتفيتُ بها، وها أنا الآن سأتركها وحيدة.

جلس وكان يغشاهُ الهم... لم يكن مبعث همه مفارقة الحياة، بل كان مبعثه الندم على فراق أمه .

بادلتهُ دعاء بنظرةِ العطفِ والتفاهم والحيرة، وهتفَ على حِينِ غِرَّةٍ ...أينَ المفرُّ ؟

أجابتهُ دعاء:

الأولى بكَ أن تُسَلِم عقَبتكَ للهِ فهو كفيلٌ في حلِ أعقد الأزمات، إن كنتَ تأسى على مالم تقدمهُ، فأنا مازلتُ لم أنلْ المُراد في البقاء في أحضانِ أمي التي لم تذق النوم منذ إصابتي، ومازلتُ لم اكتفي من رعاية أبي، ومازلتُ لم أبلغْ طور الشباب، ولكني أعلم لابدَّ من الاستسلام للقدرِ، وليفعل الله مايراهُ أمراً مقضياً.

تعجبَ أحمد لهذا الإشراق الّذي لايخفو وهذا البهاء الّذي لا يأفل، ابتسم بوجهها ابتسامة شاحبة والعبراتُ لمعتْ في مقلتيهِ، وكان يراقبُ خطوات دعاء على حافةِ السَّياج وهي تلوح لهُ بيدها وتقول تعال إلى هنا فوراً.

مشى بخطواتٍ بطيئةٍ مترددةٍ وبنفسٍ هاجسةٍ متوجسةٍ وعلى الرغم من خوفهِ مشى متجهاً نحوها مسكَ بيدها، وقالتْ لهُ:

لنقفز ونحلق في السَّماء، ازدري خوفكَ كما ازدريتَ حياتكَ السريعة· شعرَ أحمد بكثيرٍ من الخوفِ والرَّهبةِ !

أغمضَ عينيهِ وقفزَ من أعلى المستشفى وجدَ نفسهُ لايسقط، خارج قانون الجاذبية الأرضية وكأنهُ في حُلمٍ، أو في محرابٍ مقدس لا يرقى إليه أحد... بعدما تغلبَ على خَورهِ ووهنِ عزيمتهِ، انطلقا يحومانَ في السَّماءِ فرمقها بنظرةِ شُكرٍ، لأنها مَن حررَت ثقتهُ مِن قيودِ المنطق، يحومانِ في سَماءِ بغداد يُحدَّقانِ في شوارعِها وأزقتِها .

أدركَ أحمد هذهِ المُتعة لايلقاها المرءُ في الدُّنيا، توجهَ صوبَ منزله في حي المنصور وكانتْ تتبعهُ دعاء، هبطا الى الأرض، أخبرتهُ - لاتقلق اتبعني فنحنُ لايعيقنا حواجز ولا أزمنة ولا جدران!

أغمض عينيهِ وتبعها فوجدَ نفسهُ داخل المنزل .

بدأ يعيشُ حياةً لم يفكرْ فيها أو يحلم بها قط، وأيقنَ أنها نقطة تحول في حياتهِ، وفي تلك الهُنيهة دخلتْ أمهُ خائبة، أشتد همَّها وعظُّمَ غَمها، واجتاحتها موجة عارمة من الحزنِ وانهمرتْ الدُّموع من مآقيها غزيرةٍ.

مسكَ أحمد يدها وكان يُحلي إصبعها خاتم زواجها، وهو يشاركها نوبة حزنها لعلهُ يُخفف عنها راجياً بإلحاحٍ أن تكفكف دُموعها لكن دونَ جدوى .. فهو يَرى لكنهُ لايُرى!

عندما اقتربَ الفجر وصلتْ أختها وزوجها حال سماعهما الخبر، وأعقب وصولهما نساء جارهم بعدما سمعنَ الصُّراخ والعويل كانتْ ليلةٌ مروعةً، كسائر ليالي وأيام بغداد ومحافظات العراق

الدَّامية، التفتَ أحمد إلى دعاء يشكو إليها من شدةِ الحُزن الّذي خنقهُ، ولكنهُ لمحَ في وجهها اِبتسامة فاترة كما لو أنها تخفي إضطراباً ما، وعلى حِينِ غِرَّةٍ أفترشتْ الأرض وكأنّها تختنق أقتربَ نحوها فلم يجدها تعالتْ حيرتهُ، وأخذَ يشحذُ بصيرتهُ ويتمتم ما العمل.. ما العمل الآن؟ فقررَ العودة إلى المستشفى لعلهُ يجدها، وعاد محلقاً في السَّماء وهو يبحثُ عنها، وحالَ وصولهُ إلى غرفةِ دعاء، سمعها تكلم أمها وهي تتألم :

لاتتركيني ياأمي ولمعتْ الدموع من وراء أهدابها الكثيفة قبلتها أمها وهي تقول:

ليس في وسعي العيش دونكِ ياحبيبتي .

كلمها أحمد لم تعدْ تسمعهُ، أصبح في أسى وحيرة من أمرهِ، وكيفَ سيكمل مسيرهُ من دونها؟ قال لها:

شكراً على كلِّ شيءٍ يادعاء، فأنتِ آيةٌ بينةٌ من إبداع الله في تكوينهِ، ونظرَ نظرة صامتة وغادرَ غرفتها .

ثم ادلفَ إلى سطحِ المستشفى كالظِّلِ المُراوغ، وتقدمَ بخطى واثقة نحو المطلق، وشرعَ الولوج في حياةٍ أبدية لانهائية، لايأبه لشيءٍ وموقن بأنَّ مآربهُ توقفتْ، واختتمَ رحلتهُ وكلِّ ماهفتْ إليهِ نفسهِ وماتاقتْ إليهِ روحهُ طوال الأعوام الماضية انتهى بأجيجِ نيران الإنفجار .

أخيراً واجه أحمد الحقيقة دون هروب وفرار لكنه ندم على مافرط منهُ في تقويةِ علاقتهِ مع خالِق الحقيقة وعالم الأسرار.

ومالبثَ أن تنفس الصُّعداء وتخلصَ من قُيودِ الحياة التي طالما شغلتْ تفكيرهُ، إنهُ الآن حرٌ، وبإمكانهُ يتصرف كيفما يشاء بسرعةِ البرقِ الخاطف دونَ أن يشغل فكرهُ أمراً آخر حيث النَّقاء والخُلود.

على خطى ابن فرناس

عبد الرحمان بوالاكتاف، المغرب

على غرار عباس بن فرناس حاولت أن أجرب الطيران، ارتفع عاليا وابتعد عن الأرض. في الحقيقة لست متهورا مثله حتى أسقط من ارتفاع شاهق لأثبت لعالم غبي صحة نظريته، وأن تهوره هو ما سيمكنني من قطع مسافة طويلة بين أكادير و العيون في ظرف لن يتعدى خمسين دقيقة على أكثر تقدير، مع العلم أنني كنت سابقا أتجاوز العشر ساعات لقطع نفس المسافة عن طريق الحافة أو سيارة تاكسي .حجزت تذكرة في الطائرة التي لم يسبق لي أن رأيتها مباشرة، اللهم في الأفلام أو حينما تكون محلقة فوق رأسي، محاولا قراءة الشركة المالكة لها، متناسيا أننا في بلادنا لا نملك سوى شركة واحدة للنقل الجوي، حجزت يومين قبل موعد رحلتي حتى استعد بشكل كاف للمغامرة الجديدة؛ يومان من الاستعداد النفسي وكأني موشك على فتح عظيم يعيد لنا الأندلس المسلوب منذ زمن بعيد.

كان موعد رحلتي بعد العصر بقليل، جهزت حقيبة صغيرة حتى لا اخل بتوازن الطائرة بسبب كثرة ملابسي، اكتفيت بأكل شيء بسيط خلال وجبة الفطور، وامتنعت عن تناول الغذاء رغم إصرار صديقي العربي، لم أكن أرغب أن أصير أضحوكة للآخرين حين أصاب بالغثيان، لا أريد أن أفسد هندامي الذي تفننت في تعديله، فحتى الأكياس البلاستيكية التي تنقذ في مثل هذه المواقف المحرجة صارت ممنوعة الاستعمال بقرار حكومي. لمعت حذائي الذي لم انتعله منذ مدة، اشتريت جوربين جديدين حتى لا أعكر صفو الأجواء بجوربي القديمين، غسلت أسناني جيدا كما لم أفعل سابقا فقد أصادف شخصية مشهورة في

الطائرة تشمئز من اصفرار أسناني، رطَّبت شعري المجعد بمسحه بقليل من الماء حتى تكتمل وسامتي، ألقيت نظرة أخيرة على المرآة لأتأكد من أن كل شيء سليم. بعد وضع جميع اللمسات اتصلت بصديقي ليوافيني إلى البيت الذي اكتريه بسيارته، حضر قبل موعد الرحلة بساعتين انطلقنا صوب المطار، وصلنا قبل إقلاع الطائرة بساعة أو أكثر، كنت حريصا على الحضور في الوقت وآلا أتأخر، سيما وأني دفعت مبلغا مهما ثمنا للتذكرة، وإن فوت الرحلة سيؤلمني ضياع الستمائة درهم، ثمن التذكرة.

كان يمنع على غير المسافرين دخول بهو المطار، لذلك ودعت من أوصلني خارجا، سلمت ورقة الحجز وبطاقة التعريف لشرطي عند الباب، ثم وضعت حقيبتي الصغيرة لتمر عبر جهاز السكانير، والحمد لله أنها لم تكن تحوي ممنوعات، تم تفتيشي حتى ظننت أني ألج قاعدة عسكرية، بعدها تم توجيهي إلى الشباك الخامس لأخذ تذكرة السفر، ثم غادرت نحو قاعة الانتظار بعد أن تركت حقيبتي خلفي. طلب مني شخص أن أرافق أمه وأكون دليلها في المطار، وهو لا يعلم أنني أكثر حاجة لدليل. قبل دخول قاعة الانتظار كان لابد من المرور بجهاز سكانير آخر، تحرسه شرطية أنيقة، كنت أتوكأ على عكاز فطلبت مني تمريره عبر الجهاز، من يدري، فقد أكون قد خبأت فيه مادة الكوكايين، مر العكاز بسلام، استدعت شرطيا آخر كان واقفا غير بعيد عن المكان قام بتفتيشي بيديه، استفسرت إن كان الجميع يمر من نفس الإجراءات أم أنني استثناء، فأجاب أنه شيء روتيني. أخيراً ولجت القاعة، كانت فارغة إلا من أنا وتلك السيدة التي ترافقني ، وكأننا الوحيدين اللذين ضبطا موعدهما، شيئا فشيئا بدأ المسافرون بالتوافد، أغلبهم صحراوي الأصل، ذلك ما يظهر على

الأقل من خلال لباسهم، كان المكان هادئا في البداية لكن سرعان ما تعالت أصوات الناس وامتلأ المكان بالضحكات والهرج. الكل في يده حقيبة أو اثنين من الحجم الكبير، كنت أظن أن أخذ حقيبتي الصغيرة معي ممنوع، وأن اصطحابها معي سيجعل الأنظار تتجه إلي وتصوب الأعين نحوي مستغربة، لكن في الحقيقة أحسست "بالشمتة"، حاولت تبرير الأمر كوني لا أستطيع حملها بسبب اعتمادي على العكاز، في هذه اللحظة فهمت سؤال الموظف الذي سلمني التذكرة إن كنت متأكدا من رغبتي في ترك الحقيبة معه. رفعت رأسي أحدق في الجميع فإذا بهم مشغولون بهواتفهم، الكل دون استثناء، حتى الصغار أدمنوا التكنولوجيا، أما أنا فحاولت توفير طاقة البطارية حتى لا تنفذ، سيما وأن لي رغبة في ربط الاتصال بأهل الأرض وأنا محلق في السماء

لبينا نداء الأذان فصلينا العصر، ثم جاء نداء آخر من موظفة المطار تخبر بوصول الطائرة القادمة من مطار الدار البيضاء والمتجهة نحو مدينة العيون، بدأت في الاستعداد النفسي قبل أن أغادر قاعة الانتظار، تعمدت ألا أكون أول المغادرين، قررت انتظار أصحاب الخبرة حتى أتتبع خطواتهم، لم أكن أريد أن أقوم بخطأ في البروتوكول يجعلني سخيفا في نظر المسافرين. أخيرا تم النداء علينا من أجل الصعود إلى الطائرة، نهضت من مكاني بكل ثقة وتبعت الأفواج التي سبقتني، استغربت لافتعال البعض للزحام، كنت أظن الزحام خاصا بالمحطات الأرضية فقط، لكنني في هذه اللحظة تيقنت أننا شعب يعشق الزحام، تركت الجميع حتى غادروا خوفا على ركبتي المصابة، ففي النهاية سنستقل نفس الطائرة ولا فائدة من التسرع؟ سلمت الموظفة الواقفة على الباب تذكرتي فوجهتني للباب للخلفي، ومع أول

خطوة أخطوها فوق المصعد امتلكني إحساس غريب، إحساس أن تكون تجربتك الأولى لشيء ما، تجاوزت الأمر ودخلت من المدخل الخلفي كما أمرت بذلك، من جديد كان لابد من تسليم التذكرة لمضيفة كنت أتخيل في البداية أنها كمضيفات طيران الإمارات، تقف مبتسمة، أسنانها تكاد ترى وجهك فيها كمرآة من شدة بياضها، خاب ظني حين سمعت صوتها الغليظ تطلب التذكرة، عابسة ربما بسبب التعب وكثرة الذهاب والإياب، فحاولت تلطيف الأجواء مبتسما في وجهها غير أنها ظلت عابسة، أخذت جزءا من التذكرة ومنحتني الجزء الباقي، تأكدت من رقم المقعد ورحت أبحث عنه حتى فاجأني شاب دلني على مكاني الذي كان بعيدا عن النافذة، تمنيت أن أقعد ملتصقا بها حتى أستمتع بمنظر الغيوم الذي طالما استفزني وأنا ناظر إليه من الأرض .

أخذ الجميع مكانه، صوت ملائكي ينادي من مقصورة القيادة، إنها قائدة الطائرة، لم أستغرب أبدا ذلك، فالمرأة صارت تجابه الرجل وتنافسه، بل وتتجاوزه أحيانا. نعم فقط بالعلم والاجتهاد والمثابرة تستطيع ذلك، بالمعرفة تحقق ذاتها وتفرض وجودها، لا بكثرة مساحيق التجميل و الطلاء التي تفقدها بساطتها وجمالها العذري، فالمرأة قوية بعطائها لا بجسدها الذي يحاول البعض تلخيص كينونتها فيه. طلبت منا القائدة المحترمة بعد سلسلة من النصائح والتوجيهات ربط حزام السلامة، والاستعداد للإقلاع.

ربطت حزام السلامة، وطبقت تعليمات السلامة كما شاهدتها على شاشة كانت مثبتة أمامي، تأكدت من وجود سترة النجاة أسفل مقعدي تحسبا لأي طارئ. كانت هذه المرة الأولى التي أضع هاتفي في حالة الطيران دون أن اكذب احتراما للتعليمات، نظرت إلى

شخصين يجلسان بجانبي لم يكترثا لما عرض على الشاشة، يبدو أنهما تجاوزا مرحلة الاكتشاف التي أعيشها، اعتادا السفر عبر الطائرة لذلك فإن ما عرض على الشاشة الصغيرة لا يعنيهما. كان واضحا من خلال ملامحي أني أجرب السفر جوا لأول مرة، لكني كنت أحاول إخفاء الأمر مدعيا انشغالي بهاتفي. دارت عجلات الطائرة أخيرا، كانت تمشي بهدوء في البداية، لكنها حين استدارت انطلقت مسرعة، كلما اقتربت من التحليق زادت سرعتها وزاد الضغط علي أنا أيضاً. لحظات عصيبة حقا عشتها، ابتداء بدوار أصابني حتى خلت أنه سيغمى علي، فقدت حاسة السمع من شدة الضغط، عيناي لم أستطع فتحهما أبدا حتى استوت الطائرة ، بدأت أفيق من دهشتي شيئا فشيئا، زالت الغشاوة عن عيني وعادت أذني لطبيعتها، وانتهى كل الخوف.

ابتعدنا عن الأرض وكم بدت حقيرة ذليلة من فوق، كلما ارتفعنا تقلصت مساحتها وصغر كل شيء فيها، أمن أجل هذه القطعة الصغيرة يتصارع البشر في الأسفل؟ صرنا أبعد إلى درجة أن الأرض لم تعد مرئية، أصبحت الغيوم أرضنا التي نسير عليها، بدورها فقدت قيمتها في عيني، كانت تبدو وهي بعيدة عن الأرض شيئاً عظيما يهاب، لكن حين بلغت منزلتها وصرت قريبا منها اتضح لي أنها لا حول لها ولا قوة أيضا، صرت أنا فوقها وهي أسفل مني، فكرت في أن افتح الزجاج بجانبي حتى المسها لكن ذلك مستحيل ولا يحدث سوى في الأحلام، نسيت أمر الغيوم وبدأت أدور عيني بحثا عن طائر يمر لأخبره أنه ليس الوحيد الذي بإمكانه التحليق بعيدا عن ضوضاء أهل الأرض، غير أنني لم أصادف واحدا، يبدو أن الطيور أصابتها الغيرة أو ربما لم تستطع مجاراتي. بعد التحليق بقليل بدأت أمعائي تنبهني

لحاجتها للأكل، خصوصا وأني لم أتناول شيئا منذ العاشرة صباحاً، والساعة الآن الخامسة بعد العصر بتوقيت الفضاء!

مضيفتان لشركة الطيران تنتقلان بين مقاعد الركاب، خلفهما شاب يدفع عربة رتبت عليها علب من حليب وعصائر، كسر خبز وسطها قطع من الفرماج ومكونات أخرى داخل علب صغيرة لم أعرف ما هي، تسأل مضيفة عن رغبة كل راكب بين حليب وعصير، بينما تتكلف الأخرى بتعبئة كأس بلاستيكي بالمشروب الذي وقع عليه الاختيار، اخترت أنا كأس حليب على حساب العصير الذي لا أعرف مما هو مصنوع، والحقيقة كنت أود أن أختارهما وأمزجهما سيرا على نهج أهل الصحراء، ودفعا للإحراج اكتفيت بالحليب. نلت حصتي من المؤونة التي أكلتها بنهم وإن لم تكن لذيذة، وبسبب فرط الجوع تجاهلت طعم ما أكلت، إذ ما يهم الآن هو أن اسكت أمعائي التي تعوي من فرط الجوع. أنهيت وجبتي وكنت متوجسا من أن يطلب مني دفع ثمن ما أكلت مضاعفا كما يفعل بنا في القطارات حيث تدفع ثمن ما تأخذه ضعف الثمن العادي، دفع عني توجسي ذاك قدوم إحدى المضيفات لتأخذ بقايا ما وزعت علينا دون أن تعطيني فاتورة حساب.

بعد ساعة ونصف أو أكثر بقليل وصلنا إلى مطار الداخلة الذي حطت فيه الطائرة بسلام، استغرق نزول الواصلين إلى وجهتم وصعود المغادرين حوالي أربعين دقيقة كاملة، قبل أن يأتي نداء جديد من مقصورة الطائرة يذكرنا بتدابير السلامة التي طبقتها من جديد بحذافيرها. أقلعت بنا الطائرة صوب العيون، عشت رتابة قاتلة مدتها خمسة وأربعون دقيقة من الداخلة نحو العيون، قبل أن يسمع نداء آخر من قائدة الطائرة تنبهنا إلى

وصولنا أخيرا إلى مطار الحسن الأول حيث تنتهي رحلتي، أحسست بدوار جديد ونحن ننزل من السماء نحو الأرض. اصطدمت عجلات الطائرة بعنف بمدرج الطائرة، حدث ارتجاج مهول أشعر الجميع بالخوف، لاحقا علمت أن سبب الاصطدام العنيف راجع لقوة الرياح المعاكسة، هبطت الطائرة بسلام وعاد ابن فرناس إلى الأرض آمنا مطمئنا سالما معافى.

نـزوح

حسن كشاف، المغرب

"إلى ملايين النازحين المشردين، إلى المُقَتَّلِينَ المُكَوَّمِينَ في المقابر الجماعية"

كان الوقت عصرا، تداعت التحذيرات من مكبر الصوت المثبت عند مؤخرة سيارة "الدجيب" العسكرية:

يا أهل البلدة هناك احتمال كبير أن تقصف البلدة الليلة.. فليعلم الحاضر منكم الغائب..

يا أهل البلدة هناك احتمال كبير أن تقصف البلدة الليلة..

عاد الصوت لينبعث عند المساء:

ـ " فلتغادروا البلدة! فقد صارت مهددة أكثر من أي وقت مضى.. فضلا غادروها قبل أن تصير بيوتكم هذه قبورا.."

كانوا يعلمون أن هذا آخر تحذير يَتَلَقَّوْنَهُ، فقد عَلَّمَتْهُم هذه الأيام العصيبة الكثير..الكثير.. عليهم الآن أن يزحفوا بسرعة بعيدا عن الموت الذي يقتفي أثرهم بسرعة أكبر.

وقفوا مشدوهين عند الجامع الكبير، وعندما عاينوا كيف انطلقت السيارة تدرع الشارع المُتْرَبَ نحو البلدة المجاورة تاركة وراءها إعصارا من الزوابع الترابية؛ أيقنوا أن الوقت شرع يتسرب من بين أيديهم.. ولأن جل من بقي في القرية على قيد الحياة ليسوا سوى نساء لا فائدة من سَبْيِهِمْ، وفتيان لا يقدرون على حمل السلاح، وأطفال تعلموا لتوهم إِتْبَاعَ الخطوة أُخْتَهَا؛ لهذا السبب الأخير فإنهم جهزوا أنفسهم على مضض.

كثير منهم تمنوا لو قصفت البيوت فوق رؤوسهم وهم نيام، شرع العجزة يتدرعون كي يحدث ذلك دون سابق إنذار. بينما وجدت أكباد الأمهات نفسها مضطرة لإجلاء الصغار، أما الكهول فقد استرخصوا أعمارهم، ورفضوا أن يناقش قرارهم.

فوق الأكتاف استقر الصغار، وعلى الرؤوس استقرت رزم من زاد لا يسمن ولا يغني من جوع، وأغطية بالية لا تقي حتى نفسها زمهرير العراء.

وقفوا متجمدين أمام بيوتهم يودعونها وقد حنى الانكسار رقابهم. فحال دون تطلعهم إلى ثلاثين كيلومترا من الأرض الخراب تمتد أمامهم صوب مخيم يبتغونه، من المرجح ألا يجدوا فيه مكانا يأويهم.

تحركوا، الواحد يتلوه الآخر، دون أن ينبسوا ببنت شفة، وحدها الصغيرة "أماني" خاطبت أمها متسائلة:

ـ ألن نعود لبيتنا مجددا يا أماه؟! وعندما لم تتلق أي تفاعل يذكر من أمها، أردفت متسائلة:

ـ أريد دميتي.. وكراستي أيضا..! أخبرتنا الخالة "وجدان" أننا سنتعلم حروفا أخرى ونحفظ أناشيد جديدة.. يجب ألا نتأخر في الرجوع للبيت يا أماه!

كانت الأم قد أجلست الصغير على كتفها وقد تَدَلَّتْ رجلاه عند صدرها، ثم ردت بصوت خافت وهي تحاول الحيلولة دون سقوط الصبي المتمادي في حركته:

ـ بيتنا في السماء يا حبيبتي.. بيتنا في السماء!

بقيت الصغيرة حائرة، معلقة أَنْظَارَهَا صوب أمها التي نطقت لتوّهَا بما لا يفهم، بينما امتدت يد الأم اليمنى لتحمل قنينة الماء، ثم خطت خطواتها الأولى بتثاقل شديد حتى يتسنى للصغيرة مواصلة التشبث بأسمالها، في الوقت الذي حالت يسراها دون سقوط الصبي المترنح؛ وهو يشاغب برجليه غير دار بما يجري وسيجري من حوله.

وحدهم كانوا يقصدون مخيما الغالب أن يجدوه طافحا باللاجئين، فعدد النازحين والنازحات يفوق بكثير عدد الخيام والغذاء، وحده هذا القمر السَّائر نحو التشكل ينير بعضا من طريقهم نحو المجهول، ومن خلفهم صوت الانفجارات يعوي ويزمجر دون توقف. خشعت القلوب والأبصار، وحدها الأيدي تمتد لتربت على ظهور الصغار حتى لا يُطِيرَ الفزع عقولهم، أما القلوب فقد قهرها الرعب.

أزيز الطائرات يهدر ويقترب منهم شيئا فشيئا. إنها الآن فوق رؤوسهم تماما، رفرفت قلوب الأطفال فرحا، فقالت الصبية لأمها:

ـ مؤونة يا أمي مؤونة..

صبي آخر في المقدمة من فوق الكتف يحني ظهره ويهمس في أذن أمه:

ـ هل أحضروا عشاءً يا أمي..؟ ربما غطاء؟ فالبرد اشتد..

اكتفت الأم ب:

ـ *شششششش*..

بينما لم تنبس الأخريات بنصف كلمة، واحدة منهم أخفت صغيرها كما تفعل الدجاجة بكتاكيتها لتَقِيهِمْ وطأة القَرّ..

سلطت عليهم الطائرات أضواءها وكأنها ترصد تحركات فرقة مسرحية تتمرن فوق ركح المسرح لتأدية مشهدها الأخير؛ ثم شرعت تنزل حمولتها.

عندما كَشَفَ اكتمال البدر الأراضي الحزينة، كانت أجساد النساء والفتيان فوق أكتافهن قد تحولت إلى حجارة..

الأرواح المحلقة

حضراني ليلى، المغرب

هبة هي وحيدة والديها، ولدت وترعرعت بمدينة الدار البيضاء، تابعت دراستها في التمريض واشتغلت كممرضة بمصحة خاصة، يشهد لها الكل بحسن السيرة والسلوك، حقها من الجمال يعادل حقها من الطيبوبة. تزوجت في سن متأخر بشاب أربعيني يشتغل كمسير لرافعة البناء. تزوجا زواجا تقليديا، لم تجمعها به من قبل لا معرفة ولا حب، لكن جمعتهما علاقة وطيدة مباركة من الله ورسوله ألا وهي علاقة الزواج.

عاشت هبة أحلى أيامها رفقة محمد جهزا بيت الزوجية معا، نظما وقت الراحة، وقت زيارة الأقارب وكل شيء في يومياتهما.

كانا كلما سمحت لهما الفرصة قاما برحلة في نهاية الأسبوع للترفيه والاستمتاع بوقتهما. لم يكن ينقصهما سوى مولود يكمل فرحتهما، فلا هبة ولا محمد يعانيان من أي مشكل عضوي.

طال انتظار الحمل مدة ثلاث سنوات بدون جدوى، فسلما أمرهما للخالق سبحانه. وفي رمضان ذهبا معا لقضاء العشر الأواخر بمكة المكرمة، كل أيام العمرة كانت هبة تدعو الله أن يرزقها الذرية الصالحة.

بعد مرور شهرين على عودتهما من الديار المقدسة، تكتشف هبة أنها حامل في الأسبوع الثاني. جاء الخبر كالعيد بالنسبة للعائلة الصغيرة والكبيرة.

كان حملها عسيرا جدا، اختلطت المعاناة والأسى، تركت عملها كممرضة واعتكفت بالبيت، من المفروض أن تبقى مستلقية على ظهرها لمدة طويلة حتى يستقر الجنين في الرحم.

بعد مرور ثلاثة أشهر تخبرها الطبيبة أنها حامل بتوأم، سعد محمد بالخبر، كان يتمنى ولدا، فرزقه الله اثنين.

كل شيء بيد الله ونعم الوكيل، حمدا لله يا ربي وأخيرا سأرى أبنائي، ستملأ الفرحة بيتي، سآخذ صغاري لحضور مباراة كرة القدم، سآخذهم في نزهة سأزور البحر والبر معهما سيكونا سندي وخلفائي...كانت كلمات محمد كأنشودة غزل يطربها عازف على أوثار ملتحمة يتغزل بها كل يوم وينور بها ذاك البيت الذي يترقب حضور مشاكسين سيخلقان السعادة فيما قريب.

اتبعت هبة نصائح الطبيبة وداومت على الاستلقاء على ظهرها حتى تجاوزت فترة الخطر، واسترجعت نشاطها المعهود.

عند اقتراب موعد الولادة، حضرا سويا غرفة التوأم وكل الملابس واللوازم الضرورية، اختارت بعناية اللون الوردي لرباب واللون الأزرق الفاتح لريان بعدما أخبرتها الطبيبة بجنس المولودين.

يوم الخميس على الساعة التاسعة اشتد عليها المخاض واختلطت كل الأحاسيس والأوجاع. طبع على وجها اللون الأصفر الشاحب، بكاء وصراخ غير متوقع منها فهي معهودة بالصبر والمثابرة، لكن هذا الوجع لم تعرف له مثيلا. أخذها محمد بسرعة إلى المستشفى الذي كانت تشتغل بها بعدما أخبر العائلة بالالتحاق بهما.

وفي طريقهم، حاول محمد الاتصال بالطبيبة المتابعة لحالة هبة، لكنه علم أنها سافرت لحضور مؤتمر طبي بفرنسا، لم يستطع إخبار هبة بذلك خشيا من تعسير الموقف عليها.

عند وصولهم إلى المستشفى، قُدّم لهم ملفها الصحي وتمّ إخبارهم أنها حامل بتوأم.

أدخلوها بسرعة بعد أن قاموا بقياس الضغط ودقات القلب. كان كل شيء جيدا.

بعد مدة طويلة من الانتظار والترقب، ردد محمد كل الأدعية التي تذكرها في تلك اللحظة.

بعد سقوط آخر دمعة من عينه اليمنى، خرجت الممرضة تحمل مولودة أنثى و لحقها الطبيب يحمل مولودين ذكرين، فبشر محمد وهنأه بدوره قائلا : لقد رزقك الله صبية شقراء و صبيان بصحة جيدة والحمد لله.

هرول محمد لرؤية التوائم ولم تسعه الفرحة الكبرى. فنزل ساجدا لله سبحانه.

لحظتها، بدأ يسأل عن حال الأم قائلا: كيف حال زوجتي؟ لا شكّ أنها جد مسرورة بالتوائم!

تنهد الطبيب وقال : على حد علمنا أنها كانت حامل بجنينين، لكننا وفي آخر لحظة تفاجأنا بوجود جنين ثالث مما استصعب الأمر على الأم، لقد استنفذت كل طاقتها في بداية الولادة، و أصيبت بنزيف حاد لم نستطع إيقافه، كما أن ضغطها انخفض في اللحظات الأخيرة فحاولنا كلنا كطاقم طبي إنقاذها، لكن للأسف نجى المولود الأخير وفقدنا الأم. تعازينا الحارة لكم.

أصيب محمد بصدمة كادت أن تفقده صوابه، بدأ يبكي ويولول حتى فقد وعيه إثر هذه الصدمة التي ضربت له موعدا مع سوء الحظ وأدخلته في دوامة غير متوقعة.

بدأ يصرخ ويرثي زوجته :

من لي بعدك يا روحي! وأي روح تركت، فأنا جسد ميت دونك!

كيف لي أن أحيا دون سندك، وما عساي قوله لصغار تيتموا قبل أن يروا نور الحياة.

قطعت عهدا أن نربي الصغار معا ورحلت، ما هذا الخذلان؟! فأنا عهدتك صاحبة وعد وعهد.

التحق أخيرا بهم أحد الجيران والأقارب الذين سمعوا بخبر هذه الفاجعة، التي لم تكن في الحسبان.

تجمع الكل بالقرب من محمد لمواساته وحاولوا إخراجه من المستشفى ومرافقته للبيت بعد أن أخبروهم بضرورة مكوث الصغار مدة ثلاثة أيام وتحضير أوراق خروج جثة الهالكة لاصطحابها إلى مثواها الأخير...بعد صلاة الظهر تمت مراسيم دفن المرحومة في جوّ من الحزن و الأسى.

حضر البعيد والقريب، تجمع الجيران والأحباب بالقرب من البيت بعد رجوعهم من المقبرة، تناولوا وجبة الكسكس التي حضرها الجيران كالعادة لا توقد النار في بيت الميت في اليوم الأول.

حضر الكثير وبقي القليل في ساعة متأخرة من الليل، خلدت إلى النوم في غرفتي وأي جفن سيغمض لي وأي غرفة ستضمني دونك؟!

عن أي إحساس أكلمكم؟! إحساس بالعدم، تجرد تام لكل الأحاسيس... اختناق يخترق رئتي خناجر تمزق قلبي... أحبال صوتي دمرت... لم أعد أعرف من أكون! أنا مجرد زوج كان بالأمس يحن بلهفة لتذوق طعم الأبوة، لزوج يكتشف أن هذا الطعم غال ونفيس، أخذ

معه حاسة التذوق...وجرده من كل الحواس...قرة عيني، خفقان قلبي ودواء سقمي هي من دفعت الثمن.

في اليوم الثالث توجهت إلى المستشفى أنا وجارنا حسن وزوجته من أجل اصطحاب الصغار، ضممتهم الى صدري حتى أشم رائحة المرحومة، فتذكرت حينها أنها لم تتمتع حتى برؤيتهم، لم تتعرف عليهم ولم تميزهم.

قدرها أن تمنحهم الحياة التي أفنتها!

عدت إلى البيت أحمل التوائم عرفتهم على البيت الذي كان سيجمعنا وعلى الغرفة التي كانت ستضم اثنين وليس ثلاثا. عفوا يا رضا لم نكن على علم بقدومك يا عزيزي ستقتسم أنت وأخوك السرير ريثما أجهز سريرك في القريب. أما أنت أيتها الشقراء فتمتعي بسريرك، الذي حضرناه سويا لك وبكل الزينة التي تطبع اللون الوردي بجهتك. كم تمنت هبة أن تمشط شعرك، ترقبت أن تكوني شقراء مثلها وبالفعل كنت...نعم كنت دون كينونتها دون ملمسها واحساسها...عجز تام ينسيني فرحة تحقيق أملي...هي فرحة غير كاملة! أعرف أنك ستكونين سعيدة هناك في دار الخلد، تمنيت لو اصطحبتني معك!

آه يا إلهي ماذا أقول! ؟

وما ذنب الصغار؟

أستغفرك ربي وأتوب اليك.

ذهب الأقارب والجيران لم يتبق سوى المربية "ماما حليمة" وهي امرأة مسنة اخترتها كي تعتني بالصغار وتسكن برفقتنا ريثما يفرج الله كربتنا، فهبة تيتمت منذ سنتين وأنا منذ زمن

بعيد وليس لي أحد أأتمنه على الصغار سوى هذه المرأة التي وجدت فيها الأم والأخت وكل الحنان الذي حرمنا منه، فهي تقوم بأقصى جهدها حتى تسعد الصغار، لقد اشتغلت في السابق كمربية ويضرب بها المثل في الكفاءة.

بقي الحال على ما هو عليه، استمر محمد في معاناته صامتا، يصطنع الابتسامة أحيانا ويخفي الحزن أحيانا يعيش على ذكريات الماضي يتفحص طياته طية طية، يحن لأفراحه ويحاول نسيان أحزانه.

اليوم أول عيد ميلاد سيحتفل محمد والتوائم به، حضرت المربية حلوى العيد وزينت البيت استعدادا لهذا الحفل الذي سيضم أبناء الجيران كذلك. ارتدت رباب فستانا أبيض، مرصع بأحجار زهرية يعكس بياض بشرتها وزينت لها المربية شعرها بتاج وردي يترك خصلات شعرها الأشقر تتراقص يمينا.

أما رضا وريان فارتديا زيا تقليديا "جلباب، طربوش وبلغة"، وكي تكمل زينتهم جملت عنق كل واحد بقلادة كتب عليه اسمه، كانت هذه هدية محمد لهم بهذه المناسبة.

اجتمع الصغار، كلهم ضحك ولهو ينتظرون قدوم محمد بباقي المشتريات، اتصلت ماما حليمة بمحمد كي يستعجل بالحضور مرة، مرات ومرات عديدة لا يجيب!

بدأت الوساوس تخيم على عقلها، ترى ماذا حل بمحمد!

لا شك قد سرق هاتفه!

وزعت الحلوى على الأطفال بعد أن أطفأ الصغار شمع العيد دون محمد، غادر الكل البيت وبقيت ماما حليمة تسكت التوائم وتمسح دموعهم، قد اشتاقوا لأبيهم فهم اعتادوا حضوره في المساء.

بعد أن نام الصغار، طلبت حليمة من جارهم حسن أن يذهب لمقر عمل محمد ويسأل عنه.

عندما اقترب حسن من الورش الذي كان يشتغل به محمد، وجد سيارة الإسعاف والشرطة. إنها فوضى تعم بالورش، آه يا إلهي لقد سقطت الرافعة! لقد رأيت ذلك في الأخبار العاجلة، لم يخطر ببالي أن تلك الرافعة كان بها محمد!

اتجه مسرعا نحو سيارة الإسعاف، حاول أن يتعرف على الضحية بعدما غطوا وجهه وجسمه بالكامل وحسب في عداد الموتى، تأكد حسن أنه هو محمد أبو التوائم.

ربي أسألك الرحمة والمغفرة لجاري، ربي ألطف بصغاره فليس لهم أحد غيرك!

ذهب حسن يجري فأخبر ماما حليمة بالفاجعة، هي بدورها لم تتحمل الصدمة فسقطت أرضا واغمي عليها، استدعوا سيارة الإسعاف لأخذها، لكنها توفيت بسكتة قلبية قبيل وصول سيارة الإسعاف، المسكينة كانت قد أجرت عملية جراحية لقلبها منذ سنتين ونصحها الطبيب بالابتعاد عن الانفعال، لم يتحمل قلبها الضعيف الصدمة وتوفيت في يوم واحد هي ومحمد.

دفن محمد وماما حليمة في يوم واحد، حظكم قليل في الدنيا يا صغار، لكن الله لن ينساكم!

"قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" سورة التوبة.

كان هذا قدرهم، أن يحرموا نعمة الأب بعد أن اعتادوا عليها، أن يعيشوا الظلمة من جديد، حتى المربية التي منحتهم حنان الأم رحلت.

بقي الجيران والأقارب في حيرة، من يكفل التوائم؟!

لا أحد باستطاعته أن يكفل ثلاثة أو حتى واحد، فكلهم لديهم أطفال والحالة المادية لا تسمح لهم.

بقي الحل الوحيد هو تسليمهم لدار الأيتام.

بعد أن مرت ستة أيام على وفاة محمد وحليمة وانتهت مراسيم التعزية، تكلف حسن بأخذ الصغار إلى دار الأيتام بعدما قامت مديرة الدار بالقيام بزيارة ميدانية ودراسة حالة التوائم، قبل أن تسلمهم الموافقة.

التحق الصغار بالميتم، إحساس غريب شعُر به حسن عندما سلم الصغار للمديرة، إذ التصق الثلاثة ببعضهم وبدأوا بالصراخ، لم يستطع أحد إسكاتهم حتى جاءت الطبيبة النفسية والمساعدة الاجتماعية فقاموا بتهدئتهم.

غادر حسن الميتم والدموع تدرف على خده، وما أصعب دموع الرجال، ولكن لا حيلة له.

بعد ستة أشهر، تفرق الصغار، الشقراء أخذتها عائلة ميسورة حرمت من نعمة الإنجاب، وتسكن في فرنسا.

ريان أخذته عائلة أخرى تسكن بمدينة طنجة، حظه ليس أقل من حظ رباب.

لكن سوء الحظ كان حليفا لرضا كعادته، بقي بدار الأيتام لم يصطحبه أحد.

تمر الأيام والسنين وتنسى قصة الصغار، الكل عرف أنهم تفرقوا، لم يسأل أحد عنهم منذ جاء بهم حسن.

رباب وريان عاشا عيشة ميسورة لم يحسا بنقص أو غياب الأبوين الحقيقين، العائلة الكفيلة لم تحسسهم أبدا بأي نقص على العكس اعترفوا لهم عند بلوغهم خمس سنوات بحقيقة التبني.

اليوم بلغ رضا 18 سنة، مرت الأيام بسرعة غير مرغوب فيها بالنسبة له، يجدر به مغادرة الميتم عند بلوغ 18 سنة. لم يحتفل بعيد ميلاده كالعادة منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي انتظر فيه عودة من لا عودة له.

في اليوم التالي، استيقظ رضا مبكرا جمع لوازمه التي كانت أغلبها كتب دراسية مع بعض القصص والروايات العربية. كان يعشق القراءة ويدرس بامتياز وحصل على شهادة البكالوريا بميزة جيد جدا.

خرج وكله حيرة لا يعرف وجهته، لا قريب ولا صديق. فكر في الالتحاق بالحي الجامعي لكنه لا يعرف أحدا هناك. وموعد قبوله في الجامعة لم يحن بعد.

طالت جولة رضا في حلقة مغلقة، طرق فيها جميع الأبواب لم يجد لا رفيقا ولا صديقا. أسبوع بأكمله وهو ينام في المحطة الطرقية مع المشردين ومن لا مأوى لهم سوى الأرصفة يصاحب واحدا ويتخوف من الآخر، وجوه تمهد الطريق إلى الانحراف وما اسهلها طريق، الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود.

حاول بكل جهده التهرب من رفقاء السوء، وأحد يعرض سيجارة والآخر يصب كوب خمر والآخر يلف قطعة حشيش في ورق شفاف، كل واحد ينسيك براعة واحتراف الآخر، يحاولون استغلال طيبته وعفويته.

مر الأسبوع الأول بجانب المحطة بكل آلامه ومعاناته. وذات صباح، صادف رضا مجموعة من القاصرين ممن اعتادوا المجازفة والمغامرة بأرواحهم، هم أطفال قوارب الموت، من مهدوا المستعصي، ومن غرتهم أوروبا بمفاتنها، من أصبحت أحلامهم تصب في نهر واحد.

لا شك أنها بارقة أمل ستنسي رضا كل مخططاته وأحلامه. لم يتردد رضا وركب أول حافلة متوجهة إلى مدينة طنجة دون أي تفكير، هو قرار وليد لحظة هروب من ذلك الواقع الذي يتهرب منه ليرتمي في حضن حلم يستحيل تحقيقه إلا إذا تحالف الحظ معه، لكننا نعلم أن الحظ ورضا لا ينسجمان.

في الضفة الأخرى التي تتوقف فيها أحلام رضا، تقطن رباب بالعاصمة الفرنسية، لقد التحقت بكلية الطب كما تمنا والديها الكفيلين وكما خططت هي، حلمها أن تكون طبيبة مختصة في الأمراض الباطنية.

غير بعيد عن الحي الذي استقر به رضا، يقطن أخوه ريان المدلل، وحيد والديه الغنيين، هو كذلك التحق بكلية الطب بمدينة الدار البيضاء مسقط رأسه الذي لا يعلم عنه شيئا سوى بطاقة هوية كتب عليها ريان بن محمد بن عباس وهبة بنت المكي. حتى لو فكر البحث عن أصوله فهو يعلم حقيقة كفالته من الميتم وأنه طفل يتيم الأبوين ومتخلى عنه.

طموحه في نيل الدكتوراه في طب الأورام، دفع بوالديه لتمهيد الطريق له من أجل تحقيق حلمه، لم يحرماه من شيء في سبيل الوصول إلى مبتغاه والرسالة النبيلة التي يسعى إليها.

بالنسبة لرضا، فقد تراجع عن حلم الهجرة بعدما رأى الموت يدنو منه مرات عديدة، اشتم رائحته بالقرب منه عندما مات أعز أصدقاءه وانتشل جثته بيديه.

تأكد أنه حلم أخرس وميؤوس منه، أنه سقم معدي و مميت، سيفتك به لا محال. فقرر التخلي عنه قبل أن يأخذه إلى حيث لا رجعة.

هذه المرة، اتخذ رضا وجهة أخرى وهي البحث عن عمل و الالتحاق بكلية القانون، وفعلا تمكن من إيجاد عمل بشهادة الباكالوريا بالمنطقة الحرة لطنجة في شركة لتصنيع السيارات. وبالمقابل ضيع هذه السنة فرصة التسجيل بالكلية لأن الدراسة بدأت منذ شهرين في اللحظة التي كان غارقا في حلم الهجرة.

التحق رضا بعمله، وكله آمال في تحقيق ولو جزء من مخططاته. استأجر شقة قريبة من عمله، يتقاسمها مع شابين يشتغلان معه، حاول التأقلم مع العمال في المصنع ومع صعوبة ذلك العمل المتعب، المهم يكون له دخل قار مدة سنتين.

داوم على العمل بالنهار والمطالعة بالليل حتى يتسنى له في العام المقبل التسجيل في الجامعة.

في الشهر الثالث، وقعت عيناه على فتاة محجبة التحقت مؤخرا بالمصنع، فهو لا يذكر ما الذي جلبه إليها؟!

هل يا ترى بريق عينيها أم ابتسامتها الساحرة؟!

هو إحساس يعتري فؤاده لأول مرة، هو تطلع يأخذه إلى أفق مبهم، يرى نوره من بعيد تارة ويتبع سرابه تارة اخرى. يتساءل حينها إلى أين سيأخذه هذا السراب المجهول.

ترى هل هي صدفة أتت لتخلق السعادة لكلينا وتملا فراغا ترك بين السطور بنقط ما زال شكلها مبهما!

هي ونيسة جاءت تنسيني محنتي، كبارقة تسكب العطر والريحان، كلامها سكر وعطرها مسك.

تحتضن آهاتي، تسكت صخبي وترد ضجري، تروي عطشي بماء عذب وجوعي بتمر وحبات الرمان.

مابك يا نفس يا لوامة؟ أتركني أجرب إحساس الحب فأنا ذاك اليتيم الذي لم يتذوق سوى طعم الشفقة،

أعرف أنني خرقت القوانين و تهت في دوامة، أتساءل هل أنصت لدقات قلبي وحنينها؟! أنساق خلف جوارحي؟! أم أتبع دستور ومساطير عقلي التي وقفت عاجزة حيال هذه الجنحة الجديدة التي ارتكبتها؟!

نعم هي جنحة لم يسبق لي أن فكرت يوما في ارتكابها، ألا وهي جنحة الحب. كيف لي أن أقنع نفسي بأنها مباحة لمثلي؟!

أنا لا أصلح للحب، أو أن أحب... تكفيني الدوامة المعتادة حتى أضيف قائمة جديدة لها من المآسي، فأنا لم أولد بملعقة ذهب في فمي ولا عشت في قصر من الأوهام.

ماهذا التيار البارد الذي يخنق الأنفاس، يصيب بالرشح ويخرجني عن المعتاد. الحب جرعة فتاكة يحتقنها أصحاب القلوب الحساسة، يستنزف قواهم الفكرية والجسدية، يبعثر الخطوط المدروسة، يصيب بالإحباط وخيبة الأمل.

كان اسمها أمل، اسم على مسمى تعلقت كل آمالي به. أصبحت لا أنطق اسما غير اسمها ولا أرى امرأة سواها. هي لي كل شيء، الحاضر والمستقبل!

جربت معها أن أعيش إحساس الصديقة، الأخت، الأم والزوجة وكل الاحاسيس المفعمة التي حرمت منها.

بعد مرور سنتين، جددت الشركة معنا عقد العمل، فقررت أن أتقدم لخطبة أمل وأن أنسى فكرة الدراسة التي فشلت فيها لعدم قدرتي على التوافق بينها وبين العمل.

وبالفعل تزوجنا بعد مرور ستة أشهر من الخطبة، و أقمنا ببيت أمل فهي وحيدة أمها وأبوها قد توفي منذ كانت تبلغ سنتين.

أصبحت أنا رجل البيت ولدي عائلة بعد أن كنت متخلى عني. أحمد الله وأشكره.

اليوم الأول من شهر يناير، تحتفل رباب بعيد ميلادها الخامس وعشرين رفقة عائلتها وزوجها محمود، هي حامل في الشهر التاسع، تترقب قدوم شقراء تشبهها.

ريان كذلك تذكر اليوم عيد ميلاده، لكنه كان مشغولا جدا في المستشفى ولم يتسنّ له الحضور إلى البيت، ففكرت خطيبته مريم أن تفاجئه، فأحضرت حلوى العيد إلى مكتبه، الشيء الذي أسره و زاد من تعلقه بها.

أما رضا في هذا اليوم، فاشتد المخاض على زوجته ونقلت إلى المستشفى، حيت رزقت بتوأم اسمتهم هبة ومحمد على اسم أبوي رضا.

أخبركم يا سادة أنا رضا بن محمد بن عباس، انا الذي يتقمص دور الضحية منذ ولادته، مجرد تعيس تذوق طعم السعادة مؤخرا و يخشى زوال نعمتها وأقول :

لا تتمادى أيها الفرح معي! فأنا أعرف أن عمرك قصير، عساك ستخذلني كعادتك، فما أنت إلا عابر سبيل حط الرحال بقربي. قد ألفت غدرك، ترى سترحل من جديد!؟ أم أتيت ببارقة أمل! حتما سأتمسك بك، وإن رحلت سأتبع خطواتك.

آه، كيف لعاجز مثلي أن يلحقك؟! فأنا الآن أسرد حكايتي من قلب هاته الغرفة البيضاء التي ألفتني جدرانها قدر ما كرهتني آلاتها، امكث هنا منذ زمن. أنا من يستعيد من جديد مشوار تعاسته، ولكن بتفاصيل أدق و بمأساة اكثر. هو سقم مجهول ترافقه حمى ملعونة تنتشر بسائر الجسد فتقطعه أشلاء. ألم ينطق بلسان كل الأعضاء يشهد كل ليلة جراحا تدمي بلون غير مألوف، إحساس بعجز مبكر غير متوقع في عمر الزهور، ينسيك طعم كل الأحاسيس ويبعدك عن كل المغريات، فيلون وجهك بالأصفر وشفتيك بالأبيض، فتصبح كل طموحاتك محدودة سوى مبتغى الشفاء من هذا السقم.

نعم هو ذاك المرض الملعون، فانا مصاب بسرطان الدم وفي مرحلة متطورة، أعرف أنه قدري ان اعيش اليتم، الحرمان والمرض في سن مبكر، ما يعز علي سوى هبة ومحمد، من لهم بعدي سيعيشون نفس السيناريو، نفس المسرحية ونفس المعاناة التي مررت بها.

وها انا أنتظر دوري كي أغادر الغرفة البيضاء بلباس أبيض يأخذني إلى دار البقاء فهناك تكمن سعادتي وتنتهي رحلتي. فهوني يا آلامي هوني! وارحلي يا أحزاني ارحلي فأنا أحن أن أتنفس من جديد.

نظمت رباب بمساندة بعض الأطباء جمعية فرنسية لأطباء بدون حدود، وفي هذه الفترة قررت قافلتهم حط الرحال بمدينة الدار البيضاء. وبالتنسيق مع أطباء المدينة... أجروا زيارة لجناح مرضى السرطان.

وأثناء قيام المستشفى باجتماع تعارفي وترحيبي للوفد القادم من فرنسا، أثارت انتباه رباب بطاقة الطبيب الذي سلم عليها وقدم اسمه قائلا :

مرحبا بك دكتورة رباب، أنا الدكتور حامد ريان.

ردت عليه بذهول وابتسامة خفيفة عكست على ملامحها خليطا من الدهشة و الاستغراب، تشرفت بمعرفتك دكتور ريان.

بقي ريان محدقا في بطاقتها كذلك، وأخذه شرود مفاجئ، فسألها مبتسما : لدينا نفس النسب دكتورة!

ابتسمت وتابعت تعارفها مع باقي الحضور.

بعد التعارف، بدأوا بزيارة جناح الأطفال المصابين بمرض

اللوكيميا، قدموا لهم هدايا وخففوا عليهم آلام المرض باستعانتهم ببعض الشباب المتطوعين الذين ارتدوا زي بهلوان وتقمصوا أدوار شخصيات كرتونية.

وفي نهاية الجولة، توقفت رباب وريان أمام غرفة شاب بعدما سمعا انينه، كأن القدر أخذهم إلى بوابة تلك الغرفة من دون القافلة كلها ومن دون كل الغرف.

سمعوا صوت مريض يحتضر، تقدم ريان و قام بالتحية. لم يستطع المريض الإجابة، اكتفى بتحريك عينيه. حدق ريان ورباب في ذلك الشخص الذي يشبه ريان كأنه هو، هي نسخة طبق الأصل، نفس التقاسيم ونفس الحروف، رغم ما أخذته منه قساوة الأيام و صعوبة الكيماوي الذي لم يترك ولا خصلة واحدة من شعره.

اقتربا من سرير المريض وتفحصا ما كتب بالبطاقة، الاسم: حامد رضا.

تاريخ الازدياد: 1 يناير 1990

نطقت رباب: رباه إنه نفس النسب ونفس تاريخ الازدياد، ما هذه الصدفة الغريبة؟!

مكث ريان ساكتا، تارة يحدق في رضا وتارة في رباب. بيد أنه لا يملك إجابة لكل تلك التساؤلات التي تجول بخاطره وتشوش تفكيره في تلك اللحظة.

بعد حين، حضرت الممرضة لتناول رضا الدواء، فاقترب ريان ليساعده كي يستقيم في جلوسه، فأثارت انتباهه تلك القلادة التي يحملها، فحاول إبرازها من عنقه دون لفت الانتباه، لكن في تلك الآونة لمحت رباب القلادة فأحست برعشة لا تفسير لها و أحاسيس ممزوجة لا سابق لها.

دخل رضا في دوامة جديدة من الآلام، ارتفعت حرارته، وطبع وجهه بشحوب مفاجيء...دخلت زوجته والصغار ليودعوه بعدما اخبرها الأطباء باقتراب أجله، فهو ينازع الموت منذ أيام...قبلت أمل جبين زوجها وطلبت منه المسامحة على كل تقصير أو خطأ

ارتكبته في حقه دون قصد، تمسك رضا بيدها وطلب منها أن تعتني بالصغار وتخبرهم عند سن الإدراك بأن أباهم كان يعشقهم وكم خطط لدروب الحياة برفقتهم، لكن سوء الحظ يعشق أباهم أكثر منهم، وأن الأقدار هي من انتصرت، هو حنين لدروب أخرى حيكت بخيوط متينة، لا أنتم ولا أنا نعلم كيف ومتى سنفترق... احضنيهم بدلا عني، فأنا قد خارت قواي ولا حيلة لي اليوم... توجه ريان رفقة رباب إلى الميتم الذي ترعرعا فيه مدة قليلة قبل افتراقهم وحاولا تقصي الأحداث التي فرقتهم... طلبا من المديرة أن تفتح الدفاتر القديمة و تسلمهم الأسرار المنسية، وبالفعل تاكدا بأنهما تلاتة توائم جاء بهم رجل يدعى حسن بعد وفاة ابيهما وأن ثالثهما اسمه رضا .تعانقا التوأمان بعدما زفت لهم هذا الخبر السار، زغاريد و تبريكات من أطفال الميتم وكل الساهرين على تسييره .فجأة، تذكرا حالة رضا ودعا الكل و امتطيا السيارة بسرعة وتوجها نحو المستشفى

و كل واحد يحمل قلادته في يده، فرحة، دموع وخوف من فراق جد محتمل زوال نعمة مؤقتة عند وصولهم للمستشفى، صادفا أمل تبكي في الممر رفقة الصغار كل واحد يجر جلبابها من جانب، منظر يقتل الأنفاس، يربكك ويتركك مشدود الأعماق لا تقوى على الحركة ولا حتى الكلام، تفقد معنى الإدراك والوجود. تقدمت رباب وسلمت على أمل محاولة اخبارها الحقيقة التي يجهلها الكل رغم أن الوقت غير مناسب لذلك وكلها أمل بتخفيف ولو القليل من الحرقة والألم على رضا، لعل هذا الخبر سيهون من مرض رضا، رغم أنها طبيبة مختصة وتعرف أن ساعاته قليلة بعدما تعرفت على حالته من طبيبه. طرق ريان باب الغرفة، يدخل هذه المرة بدون وزرة بيضاء، تلحقه رباب وأمل، تجمع الكل

بالقرب من رضا سلموا عليه وتمنوا له الشفاء العاجل، كل واحد يحمل قلادته في يده.

نطقت رباب : اليوم اجتمعنا بالقرب منك ليس كأطباء ولكن كإخوة نحن التوائم التي فرقتنا الأقدار وجمعتنا في هذه اللحظة، ظلت أرواحنا معلقة تحوم كل ليلة بجانبنا تذكرننا أننا جزء واحد لا يتجزأ، إحساس ينتابني دوما يخبرني أن أجزائي الأخرى تائهة ومفقودة عني، كأن أشياء أخرى تكملني غابت عني، كل واحد منا عاش العزلة والوحدة رغم أننا عشنا في بيئة مختلفة، وها نحن الآن نجتمع. لم يفهم رضا قصدها، أومأ برأسه كأنه يطلب تفسيرا. اقترب ريان منه و قدم له القلادتان فأخبره الحقيقة المجهولة التي ظل ينقب سنينا عنها دون جدوى.

تبسم رضا و انهمرت الدموع على خده كنهر جاف يروى في هنيهة غير منتظرة. تعانقا الإخوة وعمت الفرحة الغرفة دقائق معدودة، لكنها فرحة زائلة لم تكتمل، بعد 10 دقائق سمع صوت حشرجة في صدر رضا و تغير تخطيط القلب فجأة، طلب ريان ورباب من الكل أن يخرجوا، فحضر الطبيب والممرضة حاولوا إسعافه لكن الإرادة الإلهية فوق كل القوى.

فلسفة سرير

توفيق بوشري، المغرب

علا صراخهما فجأة، هل يعقل أن تكون قضية فارغة كعادة هؤلاء الأزواج الأغبياء؟ في كل مرة تجد شخصين عاقلين، رجلا ملء ثيابه الأنيقة المعبرة عن مظهر يشي بالاحترام والاتزان... امرأة جميلة تحيط بها هالة من الانسجام والرونق، البهاء وتوأمة الحذاء العالي الكعب بحقيبة اليد لونا ومادة.. وتلفي نقاشهما شبيها بكارثة مضحكة، تماما كصورة ذلك الحمار المسكين المعلق في الهواء إثر ثقل العربة التي خالها صاحبها شاحنة والحمار محركا بآلاف الخيول.. يقول إنها لم تقبل بأن يبدأ إفطاره في اليوم الأول من رمضان معها ويتمه مع والديه الساكنين في الطابق العلوي.. وتقول بأنه أخرج عينيه ككلب مسعور وكاد يصفعها هذا إذا لم يكن فعلا قد شج جمجمتها في روايات أخرى.. ونعتها بالعاهرة.. يا للهول. ثم تجد القاضي وقد سوى نظارته بكل هدوء ويصغي إليهما بروية ولم يجرؤ على أن يحكم عليهما بستة أشهر سجنا نافذة مع الغرامة والأشغال الشاقة.. هل السارد فيلسوف متشائم؟ ربما القاضي أقل غضبا أو يرى ما لا يراه الآخرون.. هل كانت قضية الزوجين الذين علا صراخهما فجأة قريبة من هذا المثال الأرعن؟ لنقترب قليلا..

لقد قلت لك بأنها ليست مشكلة بسيطة..

بعد كل هذه السنين؟

لو كان شيئا عاديا لكنا انفصلنا منذ مدة طويلة..

هل تهدد بالانفصال؟

من فضلك.. لا تدخلي الغضب والطفولية في النقاش..

فعلا أنا طفلة لأنني تخيلت أن حبك أقوى من أي شيء ويمكنه أن يهدم أي عائق...

إما الحب الأعمى أو الجهل..

زدني علما وأخرج ما في صدرك يا هذا..

لن أحاسبك على "يا هذا"..

حاسبني فأنت من فتح الحساب...

فعلا، لا يمكن لأحد يسمع هذا الحوار على صخبه إلا أن يؤمن بأنها قضية غير بليدة، إذ يبدو أن بينهما عشرة طويلة وأن قصتهما قصة حب لا بد شهدت لحظات جميلة ومثيرة.. طبعا هناك علاقات دامت عمر عالم أو مخترع أو فقيه معمر ومع ذلك انتهت بقصة صحن عدس ينقصه الملح.. غير أننا هنا أمام حوار جاد.. هل يمكن أن يكون هنالك أدنى شك في ذلك؟ هل يتوجب أن نكون موضوعيين علميا ونبقي على نسبة ولو ضعيفة بأن يكون الخلاف ساذجا لا قدر الله؟ لا يتعلق الأمر بأننا لا نريد أن نضحك.. لكننا تعبنا من الضحك المر الذي يخفي خلف الأسنان، الحسرة والاشمئزاز.. لقد تجاوزنا الجنون بكثير، بل إن الجنون يكاد يكون عين العقل، لذلك فيجب أن نعلن أننا تجاوزنا الفوضى والحمق إلى شيء لا اسم له.. شبيه بلوحة لا رسم ولا إطار.. هجينة إلى درجة لا يوجد حتى أدنى مؤشر يمكننا بأن نحكم عليها حتى بالبؤس.. مضحك جدا؟ وأكثر.. المهم، لنعد إلى النسبة الأعظم في أن يكون الموضوع حقيقيا ويستحق الوقوف والتركيز..

في الحقيقة منذ أن اقتنينا هذا السرير تغير كل شيء..

الآن تريد أن تلقي باللوم على السرير.. حكمة والله!

الاستهزاء عجز..

وتتفلسف أيضا..

كأن الموضوع لا يستحق..

هل تريدنا أن نبيع السرير؟

يا إلهي.. بل يا كل آلهة الصبر..

لم تعد تتقبل كلمة مني..

(صمت)

في الحقيقة لا بد من الصمت وإعادة التفكير خاصة في مفهوم السرير.. لنستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولنقل بأن الأمر لا يتعلق بالسرير السرير ولكن بقضية ترتبط به تماما كما ترتبط السياسة التي هي تدبير الشأن العام بالمكر والكذب، أو كما يتعلق القضاء بالميزان وليس الميزان سوى أداة من حديد استعمالية تنعش ماء وجهها من المجاز والرمزية.. لنقل أن السرير يخفي وراءه ما كان أعظم.. طبعا يمكن أن نتحدث عن السرير الذي يدغدغ هوسنا الإيروتيكي.. فقط كيف يمكن أن يشكل سرير حاجزا أمام شبق فينوس وجموح إيروس؟ حتى الإسفلت يمكن أن يشكل جزيرة حالمة عندما يتعلق الأمر بالالتحام المجيد.. حسنا، لنترك هذا جانبا مؤقتا.. ربما للسرير هنا معنى منزاح عن البطولات الجنسية وحتى عن المدلول الحقيقي.. هل يعقل أن يكون الزوج شاعرا؟ أو ناقدا؟ وقانا الله وإياكم من رماحه الفتاكة إلا بالشاعرات الجميلات والكاتبات ذوات النصوص الماتعة شكلا ومضمونا..

المشكلة أن الصمت مازال مخيما وكأن شيئا من الصراخ لم يكن. هل هدأت المعركة قبل أن تنتهي الحرب أو قبل أن نحيط خبرا بأسباب قيامها الحقيقية والمباشرة؟

هل ستحل المشكلة بصمتك؟

إذا اتفقنا أن نناقش الموضوع بهدوء وأن نحاول ما أمكن تحييد مشاعرنا قليلا فسنصل إلى حل..

أنا موافقة..

سوف لن أستبق الأمور وأقول بأني أشك..

أنت فعلا تشجعني على جدال رصين!

أعتذر ولنحاول..

أووووه، لا يمكن حقا إلا أن يكون خلافا من النوع الذي نسميه راقيا أو حتى راقصا.. خاصة من خلال المعجم الدال على النقاش الرصين.. في الحقيقة لم يتركا لنا الفرصة لنواصل التحليل بين الشك واليقين، سنقول بأننا تيقنا إلى حد الإيمان بأن القضية عميقة وتستحق أن تطرح في علاقة زوجية شبيهة بالأسطورة هنا، ويا لجمال هذه العبارة: لن أستبق الأمور.. وأروع منها: جدال رصين.. تحفة.. لم يبق الآن سوى أن تنكشف لنا الحقيقة ساطعة ومجيدة متيحة لنا الفرصة للإعلان عن طفرة فريدة تفتح أفقنا على شيء مختلف نحلم به ونتوق إليه للانعتاق من الضحك، بل من استفحال الخلل عوضا عن المشكلات الحيوية القريبة من قانون هيجل..

في السابق وقبل شراء السرير ذي النوابض كانت النغمة بدون صدى ولذلك كنت أحتملها..

وما دخل السرير ذي النوابض حتى لم تعد تحتمل شخيري يا بعلي الحبيب؟

إنه الشخير.. ولولا برود السارد، لقلنا تبا لمخنا المكبوت.. هل من الصعب تصديق الأمر خاصة بعد كل هذه الاحتمالات القوية بالاختلاف الجذري؟ نكاد نضحك ولكننا لن نضحك.. أحيانا يجب أن نؤمن بحيوية المفارقة.. ربما مازال هناك أمل، حتى لا نكون من الذين يسيئون الظن ولا يعتبرون بالخواتيم..

النوابض يا حياتي تلتقط موجات شخيرك وتحولها إلى صدى أسوأ من الأصل فتتصعد إلى وسادتي وتقض مضجعي بل وتوقظني أحيانا فزعا..

وربما ستدمر جهازك العصبي؟

ها نحن مجددا نعود إلى التوتر والسخرية..

وأي توتر.. هل هناك داع لأن نعتبر القضية ساذجة؟ حتى لو كان السارد فيلسوفا فمن الضروري أن يتقن قراءة التفاصيل.. إذ يصعب الانتحار لمجرد حقائق تعلن عن نفسها كحقائق دون تحليل علاقة الشخير بنوابض السرير بمنهج ديكارت ونقد كانط وتؤدة جدتي: الصبر هو كل شيء يا ولدي..

هروب

وداد أمزيان، المغرب

إهداء

إلى أبي...كان طائرا، حلق في السماء قبل الأوان.

إلى قارئتي الأولى، سندي ورفيقة دربي، صاحبة الفضل الكبير، الشاعرة الحسنية بوسلهام

إلى إخوتي وأصدقائي وأسرتي

إلى كل من دعمني وشجعني ومنحني دفعة إلى الأمام.

القصة:

... كيف وصلت إلى المنزل..!! و تلقيت الصفعة من والدي، لا أدري ؟

لم أستفق من الصدمة بعد، منذ أن استيقظت على الساعة السادسة صباحاً و أنا أعمل على بيع حبات الليمون التي اعتدت أن أسرقها من حدائق البيوت الفاخرة.

أنا لا أعتبرها سرقة .. كيف تعتبر كذلك و أصحابها لا ينتفعون منها، يتركونها حتى تذبل، تتعفن و تسقط أرضا، حينها لن تنفع بشيء.

عندما حاصرني الشرطي هذا الصباح و أنا أتسلق سور المنزل لأقطف حبات الليمون، أمسكني من ذراعي و قال ذو البذلة الزرقاء بعجرفة :

ماذا تفعل هنا أيها اللقيط.... ؟

و قبل أن أجيبه اقترب مني وركلني بقدمه ركلة قوية و هو يقول:

هل تعتقد أنه بيتكم..!!

ثم شرع في ضربي و شتمي، انفلت منه بصعوبة و أطلقت ساقاي للرياح هربا، عندما أقتربت من الجدار أصبت بانهيار وعياء شديدين، استجمعت قواي و انطلقت راكضا نحو البيت.

اقترب مني أبي و هو يضع سجارته الرخيصة بين شفتيه، أصوات خطواته ثقيلة...

ـ أين كنت يا ابن ال.... ؟

ـ كالعادة يا أبي أبحث عن عمل..

ـ أتكذب أمام وجهي أيها الحقير، ثم قفز من مكانه كحيوان شرس لينهال علي ضربا و أمي تراقب المشهد في صمت.

أخرجت بعدها القطع النقدية، بسطتها فوق الطاولة، بدأ يحصي القطع، و عندما انتهى من العد ظهر في عينيه بريق و ابتسم حتى ظهرت أسنانه الصفراء القذرة، تأملني خلف نظارتيه السميكة مطولا وقال:

اذهب لتأكل أيها البغل.

أكلت خبزا و شايا، التويت في ركن الغرفة التي كانت تحتوينا أنا و إخوتي الأربعة، دسست رأسي وسط ركبتاي و بكيت في صمت، مددت يدي إلى البطانية القديمة التي برزت منها بعض الثقوب و غفوت.

حل الصباح، انشقت السماء و اندلعت كثلة من الضوء، شعرت بدفء أشعة الشمس تداعب وجهي من ثقوب سقف بيتنا الذي كان عبارة عن براكة من القصدير بضاحية المدينة..

كانت ساكنة الدوار كلها تحتوي على براريك صدئة، و الغني بيننا بيته يحمل سورا مائلا من قطع الياجور، معظم البراريك لا تملك أبوابا أو نوافذ مما يساعد على سماع صوت الجيران و بعض الأحيان صوت الخطيئة ليعلن بعد عدة أشهر خبر حمل زوجة فلان.

أمام باب الحانة وقفت، انفجرت موسيقى شعبية صاخبة، علا صوت المغنية المبحوح يملأ الفضاء، رقص السكارى الهستيري، حين اعتلت الراقصة المنصة التوى عنق الحانة، تجذب الزبائن كمغناطيس، مغموس وجهها في مساحيق لتجميل علها تخفي حقيقة ما، اتجهت نحو طاولة في المقدمة، كانو أربعة شيوخ و خامسهم أربعيني، الراقصة تمنح العناق نفسه و القبلات ذاتها للكل، يسيل لعاب المخمور و يعترض طريقها، نظرة مغرية يرسلها من عينيه الواسعتين، يتمعن في تفاصيل جسدها و يفترسها بعينيه الماكرتين.

الحانة بقدر ما هي صاخبة، تشعرك بالوحدة تفتض عذرية الصمت و عواء المخمورين كذئاب جائعة، عالم غريب وموحش.

لقد اخترت المكان الخطأ لبدء يومي، فلا أحد يريد أن يلمع حذاءه هنا، سمعت صوت أقدام خلفي، فجأة توقفت القدمان، التفت ورائي فوجدت الراقصة التي كانت قبل قليل فوق خشبة المسرح عيناها مثقلتان بفعل الشراب، اقتربت مني حتى التصق جسدها بي و التهبت، وضعت يديها على خدي و قالت:

ماذا تفعل هنا أيها الصغير الجميل ؟

أتيت لألمع الأحذية...

ـ هاته حانة و ليست مقهى، لن تجد هنا من يرغب بتلميع حذاءه، هذا وكر التائهين أيها الجميل.

لم أجب، أكملت: كم عمرك ؟

ست عشر سنة

هل تدخن أو تحتسي النبيذ ؟

لا

. إن أمثالك تعلموا كل شيء قبل بلوغ سن العاشرة، تعال معي إلى البيت أحتاج مساعدتك.

لا تقلق ستقوم بمساعدتي مقابل مبلغ زهيد.

أي عمل هذا ؟

في البيت ستعرف كل شيء.

حسنا.

. لم تقل لي اسمك؟

خالد.

حسنا يا خالد تعال معي.

فتحت باب المنزل و ارتمت فوق أقرب سرير يصادفها، جلست قبالتها على السرير و أخذت أنظر إليها دون أن أتكلم.

قالت:

ألست متعبا !؟

لا لست كذلك، علي أن أذهب لأكمل عملي، هذا الصباح لم أجنِ شيئا، سيقتلني والدي.

ماذا يعمل أبوك ؟

ينام كثيرا و يلعب الورق.

و أمك ؟

تسمعني الشتائم و أتلقى منها الصفعات.

مسكين أنت أيها الجميل، استرح قليلا، يبدو عليك التعب، تعال إلى جانبي.

أفسحت لي مكانا بجانبها، أخذت تنزع ثيابها قطعة تلو الأخرى، لم أرى شيئا مثل هذا سوى في بعض المجلات التي كنا نجتمع أنا و أصحاب الحي خلسة لنروي عطشنا، اقتربت مني و نزعت عني ثيابي، جذبتني إليها بصمت لفت ذراعها على كتفي، مددتني فوق السرير كطفل رضيع، ساد الصمت الغرفة، قبلتني بعنف على شفتيّ و قالت:

هذه فرصتك الأولى لتصبح رجل فحلا....

فقذت براءتي، استسلمت لها و توغلت في جسدي الصغير، عند انتهائها قدمت لي ورقة نقدية من فئة 200 درهم و قالت:

يمكنك القدوم غدا إن أردت.

ارتديت ملابسي و دسست المال في جيبي و غادرت مسرعا متوجها الى المنزل، على عتبة البراكة وجدت أمي بانتظاري و الغضب بادي على وجهها:

أين كنت أيها الكلب؟

لم أجبها..

ادخل فأبوك في انتظارك ..

أمسكت ذراعي و أدخلتني بالقوة، أول شيء تلقيته هو صفعة قوية من أبي أسقطتني أرضا

هل تظن نفسك في فندق تأتي في وقت متأخر كهذا أيها الحمار ...

آسف يا أبي التقيت بصديق لي و لم أنتبه للوقت ..

أفرغ جيوبك لأرى مدخول اليوم.

لم أحصل على شيء اليوم، فكل يوم و رزقه.

أتكذب علي أيها الحقير، تعال لأرى.

أخذت أرتعد في خوف شديد، اقترب مني و بدأ يتحسس جيوبي حينها قال:

انزع ملابسك، سأفتش كل شيء.

أخذت بعض الدموع تتساقط من عيني و أنا أترجاه أن يتركني، فك أزرار سروالي وبدأ يقلبه جيدا، و عندما انتهى عثر على الورقة النقدية بملابسي الداخلية، تسمر في مكانه بينما أمي بدأت تضرب فخذيها و تصرخ.

من أين لك هذا أيها اللقيط؟ هل أصبحت تتاجر في المخدرات، اقتله سيجلب لنا البلاء.

دس أبي المال في جيبه و صرخ في وجهي:

غادر بيتي أيها الكلب، لا أريد أن أراك هنا ثانيا، أنت عار علينا.

انسحبت من بين أيديهم تحت الضرب و الشتم و الرفس، خرجت لا أدري إلى أين، توجهت صوب منزل الراقصة، فتحت لي باب المنزل و ابتسمت قائلة:

كنت أعلم أنك ستعود، ادخل الجنة تنتظرك أيها الوسيم.

المهرج رقم مئة

عصمت يوسف، البحرين

المهرجُ رقم مئة، المهرجُ رقم مئة.

-أخي مئة وواحد، ماذا فعلت!!! كان أمامكَ يومٌ واحد فقط.

-تسعةَ و تسعون كان يومكَ خلفك ، لم تخرُج .

النداءَ الأخير المهرجُ رقمُ "م"

-قادم.

تركتُ الواحدَ في قلبِ الصّفر، وأجهضتُ خاصتي... كل أولئكَ الحمقى ظنوا أني هجرتُ هويتي، ذلكَ الرقمُ يدعونهُ بالهوية في حينَ أن وجوههُم هجرت جلدهُم، لم ينطُق أحدهم. أنا نطقت، أنا خرجت، أنا المهرجُ رقمُ مئة .

ركضتُ و كأن عزرائيلَ ورائي، وكأن الحريةَ على بُعدِ شعرةٍ من بينَ لحم قدم الإبهام و ظفره، لم يكُن هناكَ متسعٌ في الأرض لمهرجٍ هاربٍ عن وجهه الثّاني، لم يكُن هناكَ متسعٌ لصدى صوتِ مهرجٍ تعيسٍ لا يخلفُ إلا نحيبًا ضاحكًا، لا متسعَ لقاتلٍ سرقَ الصّفر من رقمِ غيره.

ذبُلت أقدامي لا أستطيعُ الحراك، جفّ حلقي نفذَ لُعابي، لا أريدُ شيئًا.

قطرةٌ واحدة كفيلةٌ بأن تنتشلَ رجفةَ جسدي، يا ترى هل سأصِلُ إلى جنينِ القبر، هل سيلعقُ لساني ماءَها ، بقيَ القليل، وصلتُ لتلكَ المقبرة، لم ألعقَ الماء، لعقتني الفاجِعة.

رأيتُ مسخًا بوجهين، كلا وجهيهِ مزيفة ...

أنا المهرجُ رقمُ مئة، محندبٌ الآن قبالة رقاق الماء لأول مرة بعد حوالي نصفَ قرن، لأنزعَ نفسًا من نفس، لأنتشِلَ قناعي الذي التحمَ مع وجهي، سائلٌ مالح تمرد من حدقةِ عيني ليصفعَ تلك اللوحةَ المزيفة، صفعتُ رقاق الماء بكفي، فالتويتُ على ظهري، أصابعي تجاوزت الخارطة، إنها الآن فوقَ وجهي، ضوءُ ذلكَ المتجر كان يحتضِرُ و يضيءُ تلك القطرات التي كانت تسقطُ في فمي، ابتلعتُ خمسةَ حيوات، والسادسةُ بالترقوةِ التحمت، أغلقتُ ستار عيني.

ما كانت إلا ثوانيّ واقتحمت الأصوات والقهقهات أذني، فتحتُ نافذتي، كانت اللوحاتُ ضبابية، يدٌ صغيرةٌ قادمةٌ نحو أنفي .

-واو، كرةٌ حمراء .

أمسكتُ ساعده فسقطَت الكرة ، تدرجت وثباتها شيئًا فشيئًا كما قبلَ أربعينَ عامًا من الآن، عندما جريتُ نحو تلكَ الكرة، وكانت وثباتها تحتضر ، ضربتُ حينها الأرض بكلا ركبتيّ، أمسكتُها

لو أن أحدًا أمسكَ ساعدي وقتها، لو !

-أيها الغلام، هات أنفي

رفعتُ رأسي، تلألأت عيناي، كانت هذهِ أولُ مرةً أقفُ بها قبالة مهرجٍ حقيقي، كانت المسافة بيننا بقدر تلكَ الكرة الحمراء

-أنا أحب المهرجين، أريدُ أن أصبح مثلك

ابتسم المهرجَ و أمتصَ بخفةِ حركته الكرة و ألبسها أنفي، منذُها و أنا أرتدي روحًا مزيفة.

جريتُ لقريتي

-ادوارد ، ادوارد

-ماذا ؟

-دع هذهِ الدمى من يدك، وكن أنتَ واحدًا منها ...

أمسكتُ معصمه و ركضنا، كان يلحقَني دون أن يأبهَ للوجهة، توقفنا قربَ مسرحٍ خشبي

-يا إلهي، هل سنحضر عرض المهرجين؟

-لا يا ادوارد، نحن المهرجين .

فتحَ الستار، لم يكُن وجهي مزيفًا كانت الضحكة تخرجُ من الوريدِ و تطبعُ على الوجه، عشتُ هذهِ المهنة ليومٍ واحد على الأقل، لنصفِ ساعة، قبل أن يرمي الجمهور إدوارد بعلبةٍ نحاسٍ، قبل أن يسقط ادوارد أرضًا، قبلَ أن تتدفقَ الحمراءُ من كرته، قبلَ أن أضحكَ على دماءِ رفيقي و أرقصُ بالسبابةِ على ألمه لأدهنَ الحمراءَ خاصته حولَ فمي.

سُدل الستار

وقفتُ قبالةَ ذلك الزجاج، أنظرُ إلى وجهٍ ملطخ برفيقه

-كيفَ يضحكُ المرء على جراحَ غيره، كيف يومىء المرءُ بالقبول لإيذاءَ غيره، كيفَ يسرقُ المرءُ الحمراءَ والصفرَ من غيره.

كانت الإجاباتُ تظهرُ في صوتِ طبول الكف التي كانت تغني بعد كل جريمة، في تلكَ القهقات المُحرضة، في تلكَ القطع النقدية التي كنتُ أدفعُ ثمنها بروحي الحقيقة .

انفصلتُ عن رفيقِ قريتي، والْتحمتُ بمئات الوجوه المنسوخة.

كان الغريبُ أننا كنا نصدقُ زيفَ بعضنا، مهلاً! ما الغريب طالما أننا صدقنا روحنا الأخرى، لكن لا يهم طالما أنَنا نحيى بالنقد و نحيي بالضحك، كانت هذهِ هي القاعدة التي حملناها فوقَ جلدنا، لكن سرعانَ ما قحل ذلك الجلد، نفذت الدعابات، لا شيءَ يضحك. أنا المهرجُ رقمُ مئة أجهضتُ نكتةً سوداء ، و رافقت آلاف المنسوخين معها ، اختلقتُ قاعدة جديدة .

ماذا لو ابتلعَ كل منا دور الثّاني، ماذا لو ضحكتُ أنا وأبكيتُ نقيضي، ماذا لو أنني أرمي النحاس بطريقةٍ أخرى، ماذا لو دهنتُ القرية بالأحمر، و رسمتُ لوحاتهم الخائفة على جدرانها، فعلتُ ذلك، فلقيتُ جزاءَ تلكَ النكتة،زجينا في الحبس، كانت أرقامنا هوية، ظننتُ حتى التسعينَ أن النداءات تعني الحرية، إلى أن رأيت الواحد والتسعينَ يشنق. أنا المهرجُ رقمُ المئة واقفٌ الآن فوق مقعدٌ خشبي واضعٌ كل ثقلي على جهةٍ واحدة، خطوةٌ واحدة للأمام ستقتلُ تلك الروحُ المزيفة التي حملتُها أكثر من روحي، في جيبي ورقة لا أعلمُ ما أن كانت ستقرأ أم ستهملُ كما جثتي .

أنا المهرجُ رقم مئة انتزعتُ حقيقتي بدم إدوارد واسترجعتها...

المنبوذ

فدوى اليعقوبي، المغرب.

كان يعتقد أنه الرجل الذي تبحث عنه كل النساء، فيختلق لنفسه دورا مصطنعا وغير حقيقي بالمرة ليظهر بطولة وهمية لا تليق به فتنساق وراءه من تظن نفسها أيضا مختلفة ولا ينكر أن هذا يعزز نظرية " الطيور على أشكالها تقع " ، فيستمران معا في حبك الأكذوبة الكبيرة التي ستنفجر في وجهيهما قبل الجميع، فتقول له باستهزاء : ما أرسلته لي على أنه شعرك مسروق وكاتبه معروف فيجيبها ضاحكا : والصورة التي أرسلت هل هي حقا لك؟

ربما كان ضروريا أن يمر بكل ذلك ليعود للصواب مرة أخرى، فيستكين فترة لهواجسه وندمه ، ويراجع فلسفته الخاطئة ويقطع حبل الكذب القصير مؤقتا ليبدأ من جديد.

ما ادعاه كان نابعا من التهميش الذي طاله منذ زمن طويل فلم يجد وسيلة غير استدرار العطف تارة أو اختلاق صفة محببة للقلوب لا يمتلكها طبعا، فيسعده أن يظن الناس ولو لوقت قصير أنه جذاب شكلا أو شاعر مبدع لا يشق له غبار أو حتى تاجر محترف.

كان عليه أن يتقمص دورا ليتغلب على خوائه وركوده... كان وحيدا يتمثل مأساته في شيء واحد – منبوذ - في العمل ينظرون إليه باستخفاف ولا يأخذونه على محمل الجد ربما كانت اللوحة المعلقة على الجدار تحظى باهتمام أكثر منه ، ينعزل في مكتبه الموجود في الطابق الأرضي وحده مع أكوام من ملفات الأرشيف الباهتة دون أن يصدر صوتا ماعدا صوت الآلة الكاتبة التي لم يعد يستعملها سواه ...فيحظى بكمية من السخرية لا بأس بها كلما مر

أحد من هناك وهذا بالمناسبة لا يحدث إلا نادرا : هل أنت من عصر الديناصورات يا هذا..!

فيكتفي بابتسامة شاحبة للرد عليهم ويهمهم بكلمات غير مفهومة.

يعود لبيته مساء مع آخر شعاع يندثر في الأفق ، ينظر لكل المهمشين مثله الذين يملؤون شوارع المدينة ينكفئون على الجدران يمشون بمحاذاته ببطء لا يرفعون وجوههم اليائسة للسماء وأقدامهم كانت لا تترك أي أثر على الرصيف...

يعتصر الألم قلبه ويرمي جسده النحيل في أقرب باص يسترق النظر للوجوه الشاحبة المغضنة وللأجساد التي تنضح عرقا ممزوجا بملوحة الشقاء، يهون عليه قليلا أنه واحد منهم وإن لم تتشابه حيواتهم ...كان قدره أن يكون وحيدا بقدر ما لم يرغب بذلك إلا أن لعنة النبذ حلت عليه منذ زمن بعيد، لا يتذكر أنه أحب أحدا يوما، وما وهبته له الحياة كان قد انتزعه من فكيها انتزاعا.

لا يمتلك الآن سوى غرفة ضيقة على السطح تأوي وحشته ويعوي فيها كذئب جريح، نوافذها مكسورة مرممة بقطع من الخشب تحميه من لسعات البرد الصعبة ولكن كان لابد أن يستيقظ بآلام في الظهر كلما حل الشتاء...

تنتظره قطته السوداء و تموء مواء خفيفا عندما تراه تتمسح بقدميه فيرمي لها قطعة جبن صغيرة ، تواصل مواءها طلبا للمزيد، يفتح علبة سردين يتقاسمها معها ضاحكا : "سيامي" يا لك من محتالة...

تنام سيامي في حجره وهو يفتح جهازه القديم، يتنحنح قليلا ويركز على الشاشة المضيئة:

-كريم، رجل أعمال... مقيم بسويسرا ...

صنف القصيدة الفصيحة

قصيدة الأندلس، خالد بناني، المغرب

رسالة إلى آدم، جمانة شحود نجار لبنان

رؤى لأعلى تخضع، خالد حكيمي اليمن

البِكارةُ الأخيرة، محمد حلمي الريشة، فلسطين

أنت أنا، أيمن دراوشة، الأردن

تراتيل الغياب، عبد الرحمان أحمو، المغرب

إبحار، عبده حسين إمام، مصر

لوعة دمشقية، محمد جاسم الأحمد، سوريا

تميمة في عنق الرجاء، عائشة جلاب، الجزائر

قصيدة الأندلس

خالد بناني، المغرب

خُذْنِي" لِأَنْدَلُسٍ" يَا طَيْفَ أَنْدَلُسِي..

رَجْع الصَّدَى نَفَساً إِذْ يَنْقَضِي نَفَسِي

خُذْنِي ..فَلَيْسَ لِهَذَا التِّيهِ يُبْلغُنِي

وَلَا أَضَاءَ بِلَيْلِ الْمُنْتَهَى قَبَسِي

سِرْ بِي عَلى عَجَلٍ، كَمْ شَفَّنِي مَهِلا

حُزْنُ الْمَنَافِي وَبَرْدُ الْقَلبِ فِي الْغَلسِ

سِرْ بِي لِآخِرِ مَا أَفْضَتْ إِلَيْكَ بِهِ

غَرْنَاطَةُ الْعُرْسِ، لَا غَرْنَاطَةُ الْعَسَسِ

قُدْنِي لِأَجْمَلِ فَانْدَانْغُو، لِراقِصَةٍ

رَنَّتْ خَلَاخِلُهَا جَرْساً بِلَا جَرَسِ

مَا هَزَّتِ الْخَصْرَ إِلَّا هَزَّنِي شَغَفٌ

وَلَا بَدَا السَّاقُ إِلَّا سَاقَنِي هَوَسِي

قُدْنِي لِدَمْعَةِ كُحْلٍ أَسْتَدِلُّ بِهَا

عَلَى الْأَمِيراتِ إِذْ يُسْلِمْنَ لِلْحَرَسِ

اَلْقُرْطُبِيَّاتِ مَنْ حِنَّاؤُهُنَّ دَمٌ

يُنْبِي عَنِ الْمَوْتِ فِي بَحْرٍ وَفِي يَبَسِ

وَالْقَشْتَلِيَّاتِ مَنْ ضَيَّعْنَ أَلْفَ فَمٍ

مُذْ خِطْنَهُ بِجَدِيلِ الْحُزْنِ وَالخَرَسِ

وَالْغَالِسِيَّاتِ أُولَاتِ الرِّجَالِ، وَكَمْ

رَفَّتْ بَيَارِقُهُمْ مِنْ زَفْرَةِ الْفَرَسِ

قُدْنِي لِأَنْدَلُسٍ خَبَّتْ مَآذِنَهَا

خَوْفَ الْأَسَاقِفِ وَالصُّلْبَانِ وَالْكَنَسِ

يَا لِلطَّوَائِفِ يَوْمَ الْبَيْنِ لِمْ جَبُنُوا

مُسْتَصْغَرِينَ حُيالَ الثَّعْلَبِ النَّجِسِ

فِي أَرْضِ مَسْبَعَةٍ تُرْجَى لِمَسْغَبَةٍ

أَرْضاً تَمُوجُ وَمَاءً غَيْرَ مُنْحَبِسِ

قُلْ لِلطَّوَائِفِ بَكَّائِينَ مُذْ غُلِبُوا

اَلدَّهْرُ يَكْشِفُ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالدَّلَسِ

خُذْنِي لِأَنْدَلُسٍ أُخْرَى أُعِيدُ بِهَا

مَا كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَمْجَادِ أَنْدَلُسِ

رسالة إلى آدم

جمانة شحود نجار لبناق

حـرّرْ كيانكَ من وهـمِ الأسـاطيرِ

وكن مع الله ، لكنْ دون تكفيـري

علّمتك المشيَ حتى صرتَ تسـبقني

وتحسـبُ الفوز رفقـاً بالقـواريرِ

وترتقي المجدَ ، في الأوهام تحبسُني

وهمّكَ الأوحدُ المجنـونُ تأطيـري

كأنّ سلطانكَ الأبهى تجـرّدني

من أيّ حقّ، وسعيٍ نحو تنـويري

وتدّعي نصرتي ، كيمـا تحررني

ما كنـت حـرّا لكي تسعى لتحريري

إني وإنّكَ ، محبوسـانِ في هلـعٍ

ما كنت مثلي ، فلا تسـعى لتـزويري

العطر في الكون من زهري ومن شفتي

والشعر في الأرض، من خمري وتقطيري

يا أنتَ كنْ طيّبـاً، كيمـا ترافقني

أو فاحـذرِ اللسعَ من وكـر الدبابيـرِ

الأرض من صنعتي، إني زرعت بها

شهدي ،فكان الهوى من حُسن تدبيري

منحتكَ التاجَ ،لكنْ خنتَ مملكتي

ولست تقبل تمليكي وتوزيري

وتدّعي العلمَ ، آهٍ أنت تجهلني

ما كنتَ أهلاً ، لكي تسعى لتطويري

يا جاهلُ ، اليومَ كم تحتاجني سنداً

وكل ما حولنا فعل الأعاصيرِ

إن شئتَ تقبلني أهلاً ومرحبةً

أو فاشعلِ الأرضَ كي تحيا بتفجيري

غداً ستدركُ أنّ الكونَ مملكتي

وليس ينفع إقصائي وتخديري

فكنْ كبيرا بما تعطيهِ من كبَرٍ

تبقى صغيراً ، إذا ترضى بتصغيري

رؤى لأعلى تخضع

خالد حكيمي اليمن

بَهوٌ أيُسعِفِني المقامُ الأرفَع؟

فرُؤايَ مِنْ عبقٍ لأعلى تَخْضَعُ

كَصَهيلِ زَنْبَقةٍ بأخْيّلةِ الشذا

يَا كُلّما بالجْرحِ كانتْ تُلْسَعُ

بَهْوٌ سَمَاويّ الأَنِيْنِ وَأُفْقُهُ

إسْقُطْ مَسِيْحَاً فالْمَحَبّةُ تَرْفَعُ

كَمْ أُبْجِدَتْ لُغَةُ الشّمُوعِ بِخَطْوِهِ

حُرَقُ الأَنَا بِيْضُ النّوَايا تَصْدَعُ

أحْتَاجُ مَغْفرةً لِأَقْرَاءَ سِفْرَهُ

وَمَتَى يَمِرُّ الْجَرْحُ لَذَّ الْمِبْضَعُ

أنا ظاعنٌ بالإنْشِراحِ كَما الذرى

أَمِنَ السُّرَى وجعُ المسافةِ يُقْمَعُ ؟

أمْ مَنْ يُبَلّغني سماواتِ الندى ؟

إنْ لَمْ تُجَبّلني إليهِ الأدْمَعُ

أذْوي وَتَصْطَفقُ المرايا رؤيةً

تَفْتَرّ أحضاناً لِتَهفوا الأذْرعُ

كيَ أرتقي; بلهاثِ من عافَتهُمُ الأشذاء صمت الوردِ لا أتَذَرّعُ

فالْبَحْرُ عَلّمَنِيْ ارتحالَ المِلْحِ أنْ سَيَمُوج مَنْ في زُرْقَةٍ يَتَضَوّعُ

والطّيْرُ فَهَمَنِيْ أُرَقِقّ مُهْجَةَ الحطّابِ ثَمّ الْفَأسُ مِنْهُ يُطَوّعُ

لا يَمقتُ الصداحَ في تغريده

إلا الغرابُ مِنَ الهديلِ يُرَوّعُ

يَا مُصْطَفَىْ خَرَقَتْ سَفِيْنَتنَا الأَنَا

مُذْ قَالَ رَبُّكَ يَا مَلائِكَتِي قَعُوا

حَتّامَ نَطْلُبُ كَابْنِ مَتّى فُسْحَةً

مَا إنْ طَفا حبٌّ بِجُبٍّ يُبْلَعُ

كمْ أَغْلَقُوا بَابَ الرّجاءَ ؟ بِحِطّةٍ

أخْطَاؤُنَا تُمْسِيْ وَفِيْنَا يُوْشَعُ

آهٍ عَلِيْنَا يا أخِيْ نَحْنُ الدّراوِيْشُ انْتَهَيْنَا مَا انْتَهَيْنَا نَسْطَعُ

لَمْ نَسْتَطِعْ صَبْراً بِذَاكرةِ الدُّجى

وَمَتى بِنا الظلماءُ صَبْراً تَسطِعُ

نَجْتَازُ بالأَخْطَاءِ أَعْذارَ الورى

كيْ تمنَحَ الأَجْيَالُ خِضْراً يَشْفَعُ

اللهُ أَقْسَمَ بالضُّحَى لَحَبِيْبِهِ

وَحَبِيْبُهُ فِيْنَا فَكَيْفَ نُوَدّعُ

وَهَوَ الْهُويّةُ لِلْهُدَى وبه النجومُ تجَنّستْ وَلَهُ الجِهَاتُ الْأَرْبَعُ

ـَ

البِكارةُ الأخيرة

محمد حلمي الريشة، فلسطين

قَالَتْ لَهُ:

إِنَّ الرُّكَامَ يَخُونُنِي

وَأَنَا تَعِبْتُ مِنَ السَّلَامِ مَعَ الرِّيَاحْ.

قَالَتْ لَنَا:

الْأَنْبِيَاءْ/

رَحَلُوا جَمِيعًا مِنْ هُنَا،

وَالْأَشْقِيَاءْ/

لَعِبُوا بِصَدْرِي مَرَّتَيْنِ وَثَالِثَةْ

لَمْ يَبْقَ زَهْرٌ فِي يَدِي.. كَمْ أَشْتَهِي ظِلَّ النَّخِيلْ

لكِنَّهَا.. رُوحُ الْبَدِيلْ

رَسَمَتْ عَلَى جَسَدِي الصَّبَاحْ.

قَالَتْ لَهَا:

طَالَ المَسَاءُ غِوَايَةً،

وَأَنَا انْتَظَرْتُ شُمُوسَهُ

حَتَّى اسْتَرَاحْ.

[لَا شَيْءَ لاَحْ

لَا شَيْءَ

لَا ..]

قَالَتْ وَمَا قَالَتْ.. إِذًا

ذَاكَ اللِّسَانُ المُخْمَلِيّْ

غَطَّى رُخَامَ المَقْبَرَةْ

مِنْ مِحْبَرَةْ [هذِي وِلَادَةُ مَوْتِهِ]

وَمَشَى إِلَى عُشْبِ السَّرَاحْ.

هِيَ عَاشِقَةْ؛

لَمْ تَنْشَطِرْ مِنْ شَوْكَةٍ لَا تَنْتَهِي

وَهُوَ انْتَهَى عَصْفَ النُّبَاحْ.

قَالَ التَّجَلِّي حَيْثُ رَاحْ:

مَا بَيْنَ حُبِّكِ ثُمَّ بَيْنِي طَلْقَةٌ

مَرَّتْ إِلَى أَسْلَافِهَا،

أَعْنِي اسْلَمِي

وَلَكِ التَّحَوُّلُ فِي الصَّبَاحْ.

أنت أنا

أيمن دراوشة، الأردن

يَا أَيُّهَا الْمَغْرِبُ الْوَضَّاحُ كَالشَّمْسِ

مَاذَا كَتَبْتُ عَلَى الْقِرْطَاسِ بِالْأَمْسِ

كَتَبْتُ أَنَّكَ مَعْقُودٌ بِقَافِيَتِي

كَتَبْتُ أَنّكَ مَحْبُوبِي عَلَى الرَّأْسِ

وَقُلْتُ هَمْسًا، أَنَا أَهْوَاكَ مُنْتَشِيًا

مَا أَجْمَلَ الْعِشْقَ مَا أَحْلَاهُ بِالْهَمْسِ

وَذَلِكَ الْوَرْدُ فِي الْأَطْوَادِ مُبْتَسِمٌ

يَحْكِي بِبَسْمَتِهِ سِرًّا بِلَا حِسّ

مَنْ أَنْتَ هَلْ أَنْتَ أَحْلَامٌ مُبَعْثَرَةٌ

مَنْ أَنْتَ هَلْ أَنْتَ مِنْ خلْدٍ وَفِرْدَوْسِ

سُبْحَانَ رَبِّ الْجَمَالِ الْفَرْدِ أَحْمَدُهُ

أَعْطَاكَ حُسْنًا كَحُسْنِ الْمَاءِ فِي الْكَأْسِ

لَقَدْ لَمَسْتَ شِغَافَ الْقَلْبِ مِـنْ نَسَمٍ

إِنِّي أُحِسُّ بِذَاكَ النَّسْـــمِ وَاللَّمْسِ

مَنْ عَاشَ فِيكَ فَكَيْفَ الْهَمُّ يُحْزِنُــهُ

وَكَيْفَ يَشْعرُ بَعْدَ الْعَيْشِ بِالْيَــأْسِ

وَاللهِ أَنَّكَ مَحْبُوبٌ فَأَنْتَ أَنَـــا

أَهْوَاكَ حَقَّ إِلَـــه الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

مَاذَا سَيُحْزِنُنِي مـــَاذَا سَيُقْلِقُنِي

فَأَنْتَ أَنْتَ، دَوَاءُ الْحُزْنِ وَالْبــأْسِ

يـــَا مَغْرِبَ الْحُبِّ وَاللهِ بِلَا كَذِبٍ

هَوَاكَ أَخْرَجَنِي مِنْ ظُلْمَــةِ النَّحْسِ

هَوَاكَ غَيَّرَنِي بِالْعَطْفِ مَلَّكَنِـــي

لَكَ الْفُؤَادُ وَمَــا فِي الْقَلْبِ مِنْ نَفْسِ

بِأَرْضِكَ النَّسْمُ وَالرَّيْحَــانُ مُنْتَشِرٌ

وَفِيكَ صَفٌّ مِـنَ النَّسْرِينِ وَالْوَرْسِ

قَــدْ مَسَّنِي حُبُّكَ الْمَيْمُونُ أَذْهَلَنِي

حَتَّى ابْتَسَمْتُ لِذَاكَ الْحُـبِّ وَالْمَسِّ

إِنِّي سَأَبْقَى أَجُودُ الشِّعْرَ قَافِيَـةً

عَلَيْكَ حَتَّى يَصِيرَ الْجِسْمُ فِي الرَّمْسِ

حُبِّي إِلَيْكَ كَوَرْدِ الرَّنْدِ نَفْحَتُـهُ

دَوَّامَةٌ كَيْفَ أَنْ يُفْنَى مِـنَ الْيُبْسِ

أَنَا سِوَاكَ يَتِيمٌ دُونَمـــَا سَنَدٍ

أَشْكُو الْجَوَى لَوْعَةً فِي غَيْهَبٍ بَغْسِ

فَأَنْتَ مَـأْوَايَ مُنْذُ الصُّغْرِ أَنْتَ دَمِي

يَا خَيْرَ أَرْضٍ بِهَا بَحْرٌ مِـنَ الْخَيْسِ

إِنِّي سَأَكْتُبُ عَنــْكَ الآنَ ثُمَّ غَدًا

بِأَجْوَدِ الْحِبْرِ والأَلْفَــاظ وَالنِّقْسِ

أَعُوذَ بِاللهِ مِــنْ شَرِّ الْخِدَاعِ أَنَا

أَهْوَاكَ صِدْقًــا بِلَا وَلْسٍ وَلَا دَلْسِ

تراتيل الغياب

عبد الرحمان أحمو، المغرب

على جُرُفٍ ينوء بيَ الحضيض

ويلفحني بجمرته النقيض

أعتّق في الغياب دنان حزني

وأسكبها لينتشيَ القريض

على حضن القصيدة كان يبكي

صبيُّ حكايتي ما لا يغيض

هنالك شهريار الحبّ يصغي

بلا وعي تشاكسه الفروض

بصحراء القصيدة ألف غار

من الذكرى وأخيلة تبيض

يرابط في ثغور العمر حلمٌ

ولا فتحٌ هناك ولا وميض

بأيّ المعبرين أريق خطوي؟

وكأس الوقت من ضجري يفيض

ولي في البحر أشرعة حيارى

ولي في ذمّة المنفى قروض

ولي في العشق أربعة شداد

تربّع في دمي شوق عضوض

ولي من حزن يعقوبٍ ظلال

تفيأ سهدها جفنٌ مهيض

وبي ما ليس تفضحه المرايا

تماثيل يقدّسها الغموض

على برج المجاز سقطت سهوا

وليس بجسم قافيتي رضوض

سأفلت من كمائن مفرداتي

لأنّ فمَ الصّدى مُرٌّ مريض

وأعلن عزلة المعنى قليلا

فهذا الحرف ضاق به العروض

إبحار

عبده حسين إمام، مصر

أطبقَ الصمت وانزوى بسكوني

حيرةٌ ثارت في سعير ظنوني

وعلى بحري لا يلوح شراعٌ

حالمٌ يرسو فوق ليل عيوني

أسْتقى حلما من سراب لقائي

يَتهادى على هدير جنوني

أقْتفى في ظلام قلبي صباحا

يعْتق الحلمَ من قيود أنيني

ومنَ الأهوال رسمْت قناعا

خلفَ أستاره يمور حنيني

رحلةٌ في غمارها تَتهاوى

خطوة القلب في نزيف سنيني

يصْرخ الحلم في كهوف شقائي

ناثرا حولي من بكاء لحوني

وَعلى جسر المستحيلِ تهادت

رحْلتي تَهذَي في ظلال ركوني

طال أسرى في غيبتي وقيودي

وَهَوت دمعتي بليل سجوني

أُطْلق الحلم في سماء دُعائي

يرْتقي نفْحا من عبير قروني

مقبلٌ من شِغاف غيبي ربيعٌ

أنْبت الزَّهر في خريف سِنونى

وإلى قلبي قد تسَامى يقين

داعبَ الشمسَ في ظلام يقيني

فَترامت على تُخومي رياحٌ

وتَغنَّت على البُحور سِفيني

لَمحَ القلبُ في شروق صَباحي

رايةُ البِشر حين تغزو جفوني

لوعة دمشقية

محمد جاسم الأحمد، سوريا

يا ليل عد بالذكرياتِ إليّا

حتى أُجددَّ حُلميَ المنسيّا

هذا أنا غَرغرْتُ فوقَ قصيدتي

دمعيْ ولكن لا أزالُ شجيّا

قالوا بأنَّ حكايتي قد تنتهي

لكنَّهم قرأوا المطالعَ فيّا

تمشي الصبابةُ في دمايَ وفي فمي

والحبُّ يعزفُ لحنهُ الأزَليّا

مُدّوا بكل الأرضِ أورِدتي أنا

لأصيرَ فيها فجرنا الشاميّا

انا ابنُ دجلةَ والفراتَ وأرتدي

حُللَ العراقةِ والأصالةِ زيّا

فإذا نزلتُ بأيِّ أرضٍ زائراً

فلتنصبوا لي معبَراً شرَفيّا

إنّي أحبُّ الشامَ أعشقُها

وكم تشتمُّ روحي عِطرَها الأبديّا

لن يصلبوا قلمي وتُقهرَ ريشَتي

سيظلُّ صوتي يا دمشقُ صَديّا

فأنا الذي ما جفَّ حبرُ قصيدتي

مذ أن زرعتِ الشعرَ في شَفَتيّا

لو جُمعّت كلُّ النفائسِ في الدُّنى

لا لن تعادلَ من ترابكِ شيّا

مُدي يمينكِ يا دمشق لأهلِنا

حتى يعودَ الراحلونَ سَويّا

فلربّما اشتاقوا لحضنٍ دافئ

يسعُ الجميعَ كبيرهم وصبيّا

بعضُ المدائنِ ظُلمةٌ لا تنتهي

لكن وجهَكِ يا شآمُ سنيّا

هيّا هلّمي عانقيهم إن أتوا

ولتلثمي جرحَ العروبةِ هيّا

تميمة في عنق الرجاء

عائشة جلاب، الجزائر

قفا نَحْكِ ما حاكتهُ في الأرض أنفُسُ

ونصـــــغي لصمتِ الأرض والطينُ ينبُــسُ

فإنّ ابتهـاج النّبض في لحظـة الفنا

فـــــــما عُمرُ عُصفور إذا هو أخـــــــرسُ

وتحيا الفراشــات احتراقا ونشــوة

وتفنى نُفـوسٌ حين في القيـــــد تُحبـــسُ

ضللتُ ببطن التّيه لم يُنجني سـوى

(فسبحانك اللّهم ،،فالصّبـــــــرُ يونُسُ)

فؤادي صبيّ ظلّ يهفـو لِجمـــرةٍ

فأضـــــحى رمـادا، حين أغـــــراهُ ملمسُ

لبستُ رداء الصّمت كم كان مؤنسا

يُخبّي زعـــــاف الموت والجلـــــــدُ أملسُ

بكيْتُ و قدْ غنّى الجميـــع لكنّما

دموعـــــي على عرش المـــواويل تجلسُ

وفكّتْ أكُفّ الرّيـــح أزرار فرحتي

فباتت نيــــوب اليأس في الروح تُغـرسُ

تعلّمتُ أنّ الخبـز والملح آيـــــة

وجـــــاري صـــــلاة، إذ أحييــه يأنـــسُ

عجنتُ رغيف الًصّبر في كفّ حاتم

وقدّمـــــتُ للأيتـــــام قلبـا يقـــــــدّسُ

ولائمُ إذلالٍ ستُبقيــك جائعـا

فتُعـــسا لخُبز في إنـــــا الذلّ يُغمــــسُ

وضعتُ همومي فوق بدرٍ فقال لي :

فمن كثـــــــرة الأحـــــزان ظهري مقوّسُ

تناسيتُ أمر الله إذ قــال اعملوا

ولمّا أتى الطّوفــــان، هل ســـــوف أغرسُ ؟

جمعتُ لآلي الصّبر في ساح وحدتي

فأضـــحت أكفّ الحقـد للحظّ تكنُسُ

وشيدتُ في روحي قصـورا لسائل

وأخرجتُني منّي ،ولكنّهم نسُـــــــوا

وحكتُ من الأكفـانِ ثوبا لغايتي

كمـا فرّ مِنْ بـابِ الـــــــدى مُتلمّسُ

تخيط بنات الظلّ للضـوء نجمة

وشمسي تحيك البـــــرد والريح تلبـسُ

خجولٌ صقيعُ الرّوح هدّتهُ صخرة

رمتهـا يدا سيزيف وهْـــــماً تؤسّـــسُ

ذُهلت عن الأعوام تجـري وهاهنا

أراهِـــــــنُ ظِلا عَلّ وهمـا سيُشمسُ

وعانقت في الظّلماء صـدرا ظننتُهُ

خليـــــــلا ولكـنْ ذاك سِيـدٌ عَمَلّسُ

الفهرس

كلمة شكر وتقدير 3
تمهيد 4
صنف القصة القصيرة 8
مقهى الخوف 9
على ضفاف الأنقاض 14
حالنا 17
حيرة الجهل 20
حكم الله 29
متاهة سيزيف 37
الظّل المراوغ 40
على خطى ابن فرناس 48
نزوح 55
الأرواح المعلقة 59
فلسفة سرير 77
هروب 82
المهرج رقم مئة 88
المنبوذ 92
صنف القصيدة الفصيحة 94
قصيدة الأندلس 95

رسالة إلى آدم 97
رؤى لأعلى تخضع 99
البِكارةُ الأخيرة 102
أنتِ أنا 104
أيمن دراوشة، الأردن 104
تراتيل الغياب 107
إبحار 109
لوعة دمشقية 111
تميمة في عنق الرجاء 113

06.61.90.96.87
05.28.21.09.47

Bloc A6, N° 59
Cité Alqods - AGADIR

Alliance Imprimerie
جميع انواع الطباعة والاشهار

ISBN : 978-9920-32-461-8